الإمارات

برنامج محمد بن راشد للتعلم الذكي
Mohammed Bin Rashid Smart Learning Program

2020-2021

الإمارات تاريخنا (1)

الصف
07

الإمارات ـ تاريخنا (1)

كتاب الطّالب

الصّفّ السّابع

1442-1441 هـ / 2021-2020 م

حقوق التأليف © 2017: مشروع تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة.
جميع الحقوق محفوظة

طُبعت الطبعة الثانية 2018 في دولة الإمارات العربية المتحدة.

الرقم الدولي للكتاب: 0-402-22-9948-78

تأليف: بيتر ماغي؛ بيتر هيلير، محمد المبارك

منشورات:
مشروع تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة
ص ب 43933، أبوظبي
الإمارات العربية المتحدة
admin@uaehistory.ae

تصميم وإنتاج:
إيليت ميديا
برج كونكورد، الطابق 6
مدينة دبي الإعلامية
ص ب 126732
دبي، الإمارات العربية المتحدة
www.EliteMediaPublishing.com
هاتف: 4549779 4 (0) (+971)

طُبع في دولة الإمارات العربية المتحدة
تصميم الغلاف: إيليت ميديا @ 2017

ترجمة:
عصام حسن منذر - كور آند ستايل لخدمات الترجمة
ص ب 7403، برج السلام، أبوظبي
065 6265 (2) (+971)
www.casts@casts-translation.com

جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز نسخ أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل دون الموافقة الخطية من أصحاب حقوق التأليف والنشر.
يجب توجيه طلبات استخدام هذا الكتاب إلى الناشرين.

تستند محتويات هذا الكتاب إلى المعلومات التي كانت متوفرة في وقت نشره. ورغم توخي الناشرين الحذر الشديد لضمان دقة المعلومات وصحتها، لا يتحمل الناشرون أية مسؤولية عن العواقب الناتجة عن استعمال المعلومات التي يحتويها هذا الكتاب.

يتوجه المؤلفون بجزيل الشكر إلى المؤسسات والأشخاص التالية أسماؤهم لما أبدوه من كرم بتوفيرهم للصور الضرورية لاستخدامها في هذا الكتاب.

دائرة الثقافة والسياحة بأبوظبي؛ إيمج نيشن أبوظبي؛ متحف ميزغارد (الدانمارك) ؛ د. ميشيل زيولكوفسكي؛ البرفيسور هانز- بيتر يوربمان؛ البروفيسورة مارغاريت يوربمان؛ د. صوفي ميري؛ ويليام ديدمان؛ البروفيسور دان بوتس؛ د. توم فوسمر؛ د. صباح جاسم (هيئة الشارقة للآثار) ؛ البروفيسور إيرني هيرينك؛ د. ديريك كينيت؛ البروفيسور ستيفن سايدبوثام؛ د. أدلينا كوتيرر؛ د. إيما تومبسون.

كما يستحق العديد من هؤلاء المفكرين الشكر لتخصيص قسط كبير من وقتهم مجانا لمناقشة آخر اكتشافاتهم وأفكارهم حول تاريخ الإمارات العربية المتحدة.

صاحب السّمو الشّيخ خليفة بن زايد آل نهيان
رئيس دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، حفظه الله

"يجب التزوُّد بالعلوم الحديثة والمعارفِ الواسعة والإقبال عليها بروح عالية ورغبة صادقة، حتى تتمكّن دولة الإمارات خلال الألفيّة الثّالثة من تحقيق نقلة حضاريّة واسعة."

من أقوال صاحب السّمو الشّيخ خليفة بن زايد آل نهيان

الإمارات – تاريخنا

هذا الكتاب "الإمارات - تاريخنا" مخصص لتعريف الأجيال على التاريخ العريق لدولة الإمارات العربية المتحدة.

وتم إصداره في نسختين: باللغة العربية والإنجليزية.

بيتر ماغي؛ بيتر هيلير؛ محمد المبارك

مقدمة

منذ تأسيسها كدولة مستقلة قبل نصف قرن تقريبًا، لا تزال دولة الإمارات العربية المتحدة تنعم منذ ذلك الحين بمعدلات متزايدة من التقدم والازدهار وذلك بفضل الرؤية الحكيمة والجهود المخلصة للآباء المؤسسين للدولة. وقد تابع أصحاب السمو حكّام الإمارات أعضاء المجلس الأعلى مسيرة النهوض حتى وصلت دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم إلى مصاف الدول المتقدمة في العالم. ولا يمكن لنا أن ندرك جيدًا حقيقة هذه المكانة المتقدمة التي تتبوأها دولتنا الحبيبة الآن إلا إذا نظرنا إليها ضمن سياقها التاريخي، وتعرّفنا عن كثب على الجهود المضنية التي بذلها أسلافنا.

يرسم كتاب "الإمارات: تاريخنا" ملامح مسيرة دولة الإمارات العربية المتحدة من الماضي وحتى الحاضر مما يجعله مصدرًا قيّمًا من المعلومات للتعرّف على مراحل التطور التاريخي التي مرت بها دولة الإمارات العربية المتحدة حيث يتتبع جذورها الضاربة في عمق التاريخ منذ اكتشاف الأدلة الأولى على قيام أقدم المستوطنات البشرية والأدوات الحرفية على أرض دولة الإمارات العربية المتحدة قبل 125,000 سنة وحتى وصلت دولة الإمارات العربية المتحدة إلى ما هي عليه الآن. بالإضافة إلى ذلك، يستعرض هذا الكتاب أحدث الحقائق التي توصل إليها المؤرخون وآخر الاكتشافات التي عثر عليها علماء الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة.

إن دراسة التاريخ أمر في غاية الأهمية ومن شأنه مساعدتنا في استخلاص الدروس من الماضي والاستفادة منه في الحاضر، بالإضافة إلى أنها تعمّق معرفتنا في كيفية عيش أسلافنا مما يزيد من احترامنا لهم تقديرًا لتمسكهم بالأصالة من أجل التغلب على الكثير من التحديات المناخية والمعيشية.

يزخر تاريخ الإمارات بالكثير من الأمثلة في هذا المجال. فقبل أكثر من 3,000 سنة، ابتكر إنسان الإمارات نظام الأفلاج واستخدمها في الري مما جعلها تلعب دورًا مهمًّا في نشوء النشاط الزراعي. وقبل نحو 5,000 سنة، أدرك إنسان الإمارات أهمية الحفاظ على الموارد الطبيعية وتسخيرها لمصلحة المجتمع وذلك عندما اكتشف مناجم النحاس في ذلك الوقت القديم. كما تعرّفنا دراسة التاريخ على الأصول التاريخية للمكانة المتميّزة التي تحتلها دولة الإمارات العربية المتحدة في التجارة العالمية في العصر الحديث. فقبل أكثر من 7,000 سنة، مارس إنسان الإمارات النشاط التجاري كما تشير الاكتشافات التي عثر عليها علماء الآثار في جزيرة مروح، والتي تعود للعصر الحجري الحديث. وعندما ندرس التاريخ الحديث لدولة الإمارات، نتعرّف على الغوص على اللؤلؤ الطبيعي الذي مارسه سكان الإمارات منذ وقت بعيد والتحوّل الكبير الذي طرأ على هذا النشاط بعد اكتشاف اللؤلؤ الصناعي في القرن العشرين. وهذا ما يعطينا الكثير من الدروس في معرفة طبيعة التغيّرات التي تحدث في حياة المجتمعات البشرية وما تعنيه من أهمية الاستعداد لمثل هذه التغيّرات والصمود أمام آثارها السلبية.

بالإضافة إلى هذه الدروس القيّمَة، تسلط دراسة التاريخ الضوء على منظومة القيم التي حافظت على وجودها ودورها لآلاف السنين. ولا شك أن الإسلام هو أهم مصادر هذه القيم على الإطلاق حيث اعتنق سكان الإمارات الإسلام منذ ظهوره في شبه الجزيرة العربية قبل 1,500 سنة تقريبًا، ولا تزال تعاليم الدين الإسلامي السمحة تلعب دورًا جوهريًّا في جميع جوانب حياة المجتمع الإماراتي منذ ذلك الحين. ومن هذه القيم على سبيل المثال لا الحصر قيم قبول الآخر والسلام والتسامح التي مارسها سكان الإمارات في حياتهم قبل آلاف السنين، وتجسدت عمليًّا في طريقة تعاملهم مع الشعوب الأخرى من أتباع الثقافات والديانات المختلفة. وليس أخيرًا، كما تعلمنا دراسة تاريخنا الإماراتي المكانة المحترمة التي احتلتها المرأة والدور المهم الذي لعبته في مجتمعنا المحلي.

وبعد هذه النبذة الموجزة عن أهمية دراسة تاريخ الإمارات، آمل من الجميع، ولا سيما جيل الشباب، أن يُقبلوا على دراسة تاريخنا ويتعرفوا على الإرث الغني الذي يضمه تاريخ دولتنا، وهذا من شأنه أن يعمّق من معرفتنا بالقيم التي ساهمت في تشكيل حياتنا، وكذلك معرفتنا بالتحديات التي واجهها أجدادنا والفرص التي استفادوا منها للتغلب على تلك التحديات. وفي هذا المجال، لا أجد دليلًا على أهمية دراسة تاريخنا أفضل من قول المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه لله، مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة وأول رئيس لها، عندما قال: "إن التاريخ سلسلة متصلة من الأحداث، وما الحاضر إلا امتداد للماضي. ومن لا يعرف ماضيه، لا يستيطع أن يستفيد من حاضره ويعيش مستقبله لأننا نتعلم الدروس من الماضي".

وفي هذا الوقت الراهن الذي تتضافر فيه جميع الجهود من أجل الاستغلال الأمثل للطاقات البشرية والطبيعية الهائلة التي تمتلكها دولتنا العظيمة والاستفادة منها لمصلحة الإماراتيين، من المفيد جدًا أن نولي أهمية كبيرة لدراسة تار يخنا العريق واستخلاص الدروس والعبر منه، ومن أهمها الوحدة. وبذلك، نستطيع أن نتطلع لبناء مستقبلنا المشرق بكثير من الثقة والاستعداد والإرادة.

صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان

الفهرس

الفصل الدّراسي الأوّل	الفصل 1 مراحل تشكل التضاريس الطبيعية لدولة الإمارات العربية المتحدة	1
	الفصل 2 الفترة الزمنية الممتدة من 200,000 إلى 10,000 ق.م	9
	الفصل 3 تطوّر المجتمع، الفترة (8000-3200 ق.م)	13
الفصل الدّراسي الثّاني	الفصل 4 بداية (العصر البرونزي) وظهور الواحات	23
	الفصل 5 حضارة أم النار الفترة الممتدة من: (2500-2000 ق.م)	33
	الفصل 6 زمن التغيير: (2000-1000 ق.م)	43
الفصل الدّراسي الثّالث	الفصل 7 الفلج ونمو القرى والمدن	51
	الفصل 8 الإبل وتحوّل الصحراء	59
	الفصل 9 قيام الإمبراطوريات	67
	الخاتمة	77
	قراءات إضافية	80
	الكلمات المفتاحية	81

وزارة التربية والتعليم
MINISTRY OF EDUCATION
معتمد
محتوى هذا الكتاب معتمد
من وزارة التربية والتعليم

الفصل الدّراسي الأوّل

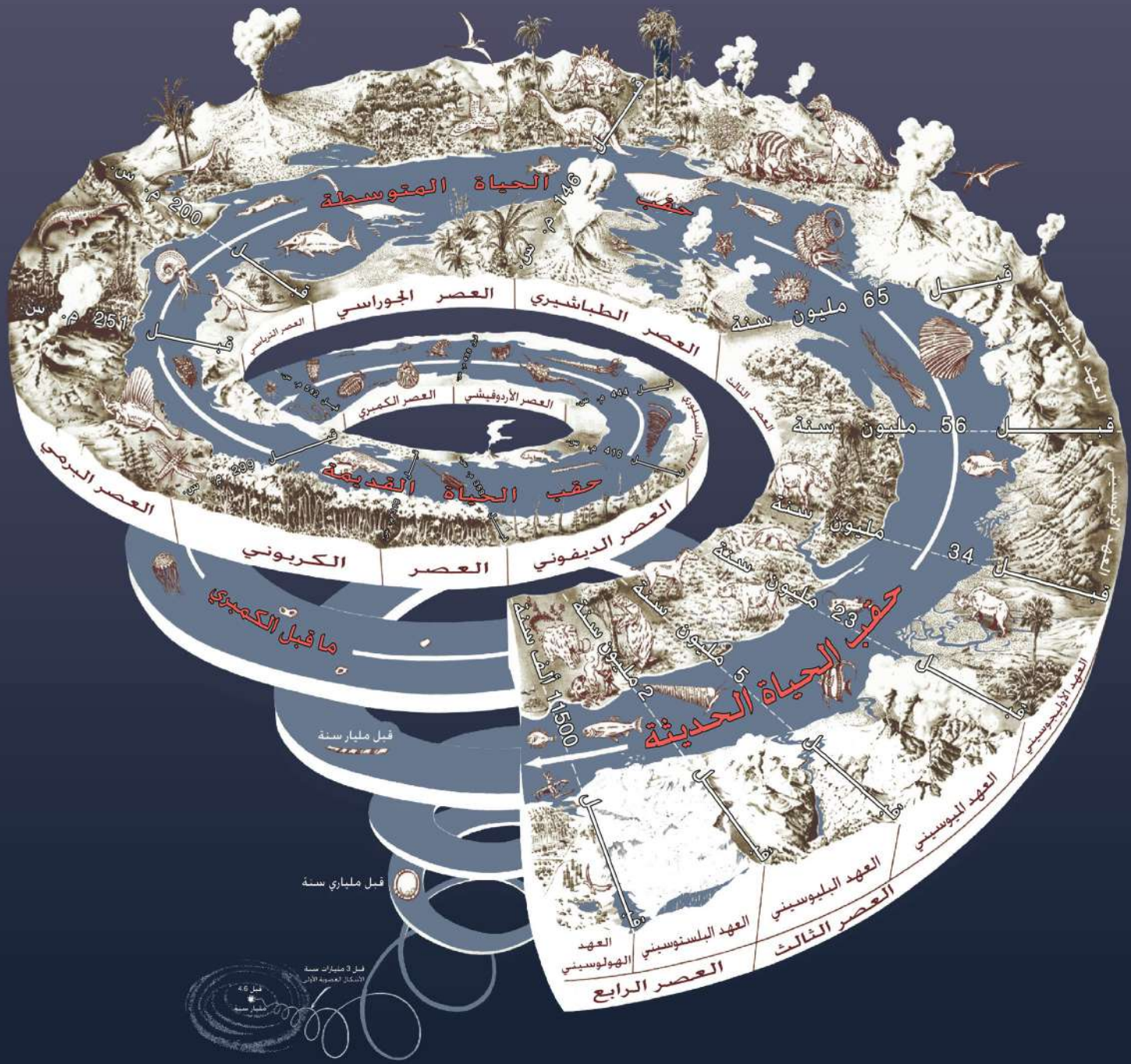
حقب الحياة الحديثة
العصر الرابع
العصر الثالث
العهد الهولوسيني
العهد البلستوسيني
العهد البليوسيني
العهد الميوسيني
العهد الأوليغوسيني
العصر الإيوسيني
العصر الباليوسيني
حقب الحياة القديمة
العصر الكربوني
العصر الديفوني
العصر السيلوري
العصر الأردوفيشي
العصر الكمبري
ما قبل الكمبري
حقب الحياة المتوسطة
العصر الجوراسي
العصر الترياسي
العصر الطباشيري
65 مليون سنة
56 مليون سنة
34 مليون سنة
23 مليون سنة
2 مليون سنة
1500 ألف سنة
قبل مليار سنة
قبل ملياري سنة
قبل 3 مليارات سنة
الأشكال العضوية الأولى
قبل 4.6 مليار سنة

الفصل

1

مراحل تشكل التضاريس الطبيعية لدولة الإمارات العربية المتحدة

جبال الحجر ترتفع شاهقة في إمارة الفجيرة

تشكّل اليابسة

تزدان دولة الإمارات العربية المتحدة بالمدن والطرق والمباني المتنوعة التي بُنيت جميعها على تضار يس لم تكن موجودة سابقا كما نعرفها اليوم. فقد شهدت هذه التضار يس تغيّرات هائلة في شكلها عبر العصور التار يخية المتعاقبة خلال ال 500 مليون سنة الماضية. ويمكن لنا أن نرى شواهد عديدة على هذه التغيّرات في مختلف أرجاء دولة الإمارات العربية المتحدة. فإذا ذهبنا بالسيارة إلى الساحل الشرقي مثلاً، تطالعنا سلسلة من الجبال بقممها البارزة والملساء التي تشكلت نتيجة لمجموعة كبيرة من العمليات الجيولوجية التي لا تزال تحدث منذ ملايين السنوات حتى يومنا هذا.

توجد شواهد على هذه التضاريس القديمة جدًا في جبل الظنة بمنطقة الظفرة في إمارة أبوظبي. وإن اليابسة التي تشكل دولة الإمارات العربية المتحدة كانت قطعة جيولوجية ضخمة تحركت نحو الشمال منذ حوالي 260 مليون سنة مضت.

قبل أن تتشكل هذه الجبال في الساحل الشرقي، كانت دولة الإمارات العربية المتحدة جزءا من كتلة أرضية ضخمة تُسمى قارة "**غندوانا**" التي انفصلت عن آسيا بواسطة محيط قديم كبير يُسمى "**بحر التيثس**". وتوجد شواهد على هذه التضار يس القديمة جدا في جبل الظنة بمنطقة الظفرة في إمارة أبوظبي. إن اليابسة التي تشكل دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم كانت قطعة جيولوجية ضخمة بدأت تتحرك نحو الشمال منذ حوالي 260 مليون سنة مضت.

ذكرنا أن التضار يس المتنوعة التي نشاهدها اليوم على سطح أرض دولة الإمارات العربية المتحدة قد شهدت تغيّرات هائلة خلال ال 500 مليون سنة الماضية، ولكن وتؤكد الدراسات الجيولوجية أن تلك التغيّرات كانت أكثر حدّة خلال 100 مليون سنة الماضية حيث كانت دولة الإمارات العربية المتحدة تقع في ذلك الزمن على حافة ما نسميه "**الصفيحة العربية**" إذ بدأت هذه الصفيحة بالغرق حتى ارتطمت بقاع المحيط. فما الذي حدث؟

عادة ما يؤدي مثل هذا الارتطام إلى غرق قاع المحيط تحت تأثير ثِقل السطح الأرضي، لكن ما حدث أن المحيط اندفع فوق الصفيحة العربية. وخلال 25 مليون سنة التالية، أخذت أجزاء أكثر فأكثر من قاع المحيط تندفع نحو الأعلى فوق سطح المياه لتشكل الجبال. بمعنى آخر، لقد انبثقت هذه الجبال من قاع المحيط لتشكل **جبال الحجر** القاسية الوعرة (تقع في كل من إمارات رأس الخيمة والشارقة والفجيرة) .

لم تحدث هذه العمليات الجيولوجية التي أدت إلى ظهور جبال الحجر في فترة زمنية قصيرة، بل استغرقت ملايين السنين، ونستطيع أن نرى دليلًا عليها في يومنا هذا، فإذا ذهبنا إلى الساحل الشرقي لدولة الإمارات العربية المتحدة، نستطيع أن نرى ليست هذه الجبال فقط، وإنما طبقات قاع المحيط التي ترا كمت فوق بعضها البعض عبر ملايين السنين لتشكل فيما بعد هذه الجبال. وتتكون كل واحدة من هذه الطبقات على عدد كبير من الصخور والمعادن التي أصبحت ذات فائدة كبيرة للشعوب القديمة التي استوطنت تلك المناطق بعد ملايين السنين.

الأهمية العالمية للأحافير في دولة الإمارات العربية المتحدة

لا تقتصر المظاهر الجيولوجية لدولة الإمارات العربية المتحدة على تلك الجبال فقط، بل هناك مظهر جيولوجي آخر لا يقل أهمية عنها، أي الصحراء. لقد ظهرت هذه الصحراء بعد الجبال بملايين السنين مما يجعلها أصغر عمرًا بكثير من الجبال. تشكلت رمال الكثبان المنتشرة في أرجاء عديدة من دولة الإمارات خلال العشرين ألف سنة الماضية فقط، وهذا يعني أنها تشكلت بالأمس قياسًا بعمر الأرض الذي يبلغ 4,500,000,000 سنة تقر يبًا.

قبل أن تتشكل الصحارى، تغيّر المناخ مرات عديدة، وكانت تضاريس الأرض مختلفة عما تبدو عليه اليوم. وقدحدثت إحدى أهم تلك التغيّرات المناخية في **الحقبة الميوسينية** (انظر التعريف أدناه) التي استمرت من 23 مليون سنة إلى 5.3 مليون سنة مضت. خلال تلك الحقبة الميوسينية، ارتفعت درجة حرارة المناخ، وظهرت تضاريس جديدة. ونتيجة لذلك، انتشرت الأراضي العشبية في دولة الإمارات العربية المتحدة مثل نبات السافانا الموجودة في شرق أفريقيا اليوم.

الحقبة الميوسينية والتاريخ الجيولوجي للعالم

كلمة "**ميوسين**" مشتقة من اللغة اليونانية وتعني "أقل حداثة". والحقبة الميوسينية هي أول فترة جيولوجية من حقبة النيوجين التي امتدت من 23 مليون سنة إلى 2.5 مليون سنة مضت، ثم جاءت بعدها حقبة البليوسين (انظر الفصل 2) . كيف نستطيع أن نتعرّف على هذه الحقب الجيولوجية؟ يعمل علماء الجيولوجيا من مختلف دول العالم على تحديد عمر هذه العصور الجيولوجية من خلال دراسة طبقات الأرض، وهو علم يدرس كيف تشكلت طبقات سطح الأرض فوق بعضها البعض عبر الزمن حيث تتميّز كل طبقة عن بقية الطبقات بمزايا فر يدة، وتحتوي على دلائل يستخدمها العلماء للتعرّف على طبيعة المناخ وأنواع الحيوانات التي كانت موجودة على سطح الأرض خلال كل عصر جيولوجي. على سبيل المثال، في الفترة الطباشير ية التي استمرت من حوالي 145 مليون إلى 66 مليون سنة مضت، كانت الديناصورات من نوع "ملك السحالي الطاغية" تنتشر فوق سطح الأرض، لكنها انقرضت في نهاية هذا العصر ر بما نتيجة لارتطام نيزك أو نجم مذنّب بالأرض.

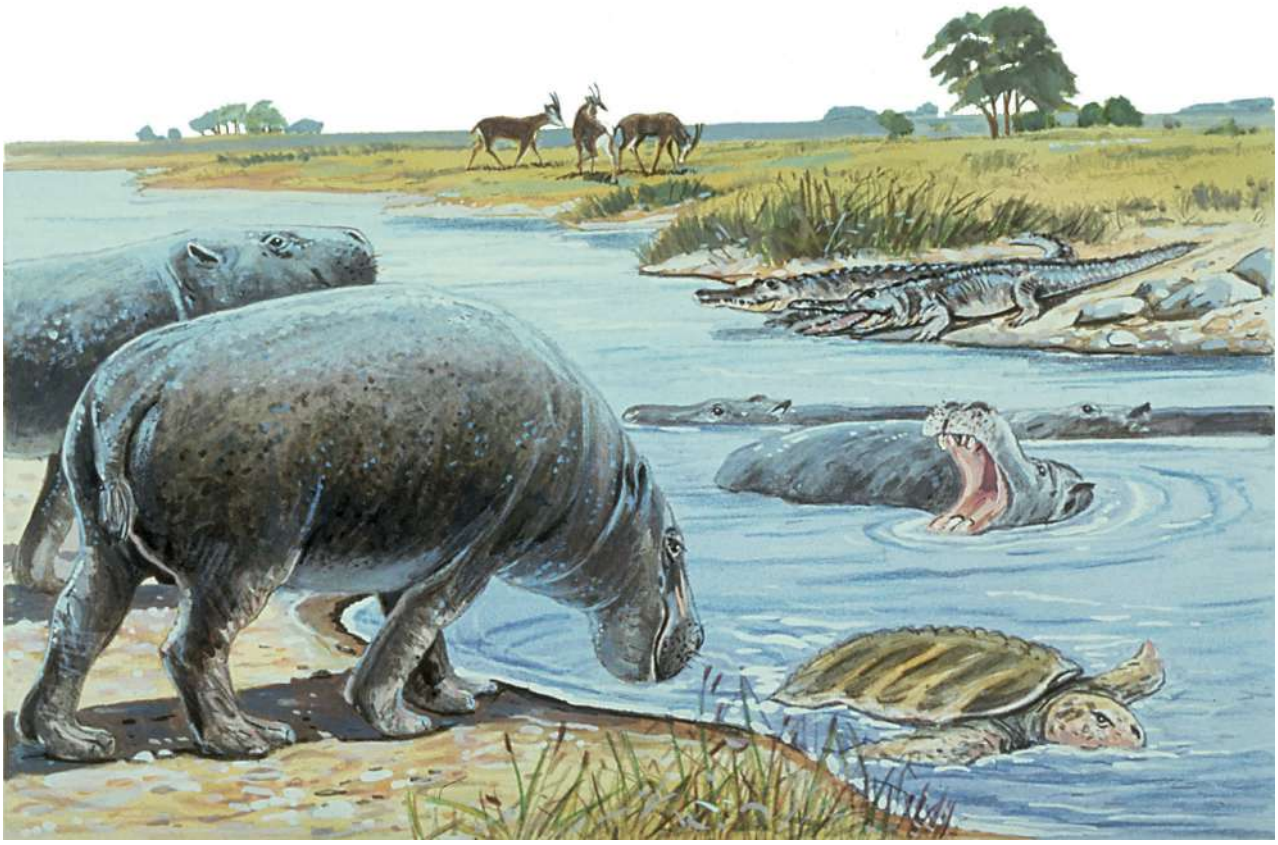

صورة تمثل كيف تخيل أحد الفنانين شكل الحيوانات التي عاشت خلال الحقبة الميوسينية في أبوظبي

خلال أوائل الحقبة الميوسينية، أخذ البحر الواقع بين البحر المتوسط والمحيط الهندي يضيق تدريجيًا حتى اختفى تمامًا، كما ظهرت شبه الجزيرة العربية التي نعرفها اليوم لتشكل جسرًا يصل بين قارتي أفريقيا وآسيا مما سمح للحيوانات الاختلاط والانتقال بين هاتين القارتين حيث انتقل أسلاف سلالات الغزلان والظباء (البقر الوحشي) والزرافات من شبه الجزيرة العربية إلى أفريقيا؛ بينما هاجرت الفيلة والقرود من أفريقيا إلى شبه الجزيرة العربية.

ولقد عثر علماء الآثار على **بقايا تلك الفترة الزمنية في تشكيلات صخور بينونة في منطقة الظفرة بإمارة أبوظبي**، وهذه التشكيلات عبارة عن منطقة جيولوجية تشكلت من التفاعل بين الأرض والمجاري النهرية التي كانت تنساب في تلك المنطقة، حيث تشير تلك البقايا إلى أن بعض الأنهار كانت كبيرة جدًا إلى درجة أن لها مجارٍ فرعية عديدة. ويعتقد علماء الآثار أن أحد تلك الأنهار، كان موجودًا بالقرب من مدينة المرفأ الساحلية، وعرضه 100 متر. كما تحولت بقايا الحيوانات والنباتات من تلك الفترة إلى مستحاثات (أحافير) تم العثور عليها في الأجزاء الظاهرة (نتوءات) من تشكيلات بينونة حيث تنتشر هذه المستحاثات أو الأحافير بالقرب من مدينة أبوظبي وتتجه غربًا إلى جبل الظنة وجبل براكة على مسافة أكثر من 200 كلم ولغاية 50 كلم داخل اليابسة.

| أن أحد تلك الأنهار، الذي كان موجودًا بالقرب من مدينة المرفأ الساحلية، كان عرضه 100 متر. |

علماء المستحاثات هم العلماء الذين يدرسون المستحاثات، أي البقايا العضوية من الإنسان والحيوانات والنباتات، التي يعثرون عليها بين طبقات الأرض. وقد حظيت تشكيلات بينونة باهتمام العلماء، ودرسوا تلك التشكيلات لكي يتوصلوا إلى معلومات مهمة.

تشكّلت السهول الرسوبية على السواحل الشرقية لدولة الإمارات بفعل الأتربة والرمال والحصى التي جرفتها كميات الأمطار في أعلى معدلات هطولها من الجبال لتستقر وتترسب عند السواحل.

ما هي المستحاثات؟

تُطلق كلمة "المستحاثة" على مجموعة واسعة من البقايا العضوية القديمة التي تحجرت أو بعبارة أخرى "تحولت إلى أحجار" عبر ملايين السنين وذلك بفعل مجموعة متنوعة من العمليات الكيميائية ينضوي معظمها على انتقال المياه لتغمر عظام الحيوانات أو أنسجة النباتات المدفونة في الأرض وتتفاعل مع المواد الكيميائية الموجودة في العظام والأنسجة. وفي بعض الحالات، تبدأ المياه تملأ ببطء شديد الفراغات (المسامات) الموجودة في العظام مما يجعل العظام تذوب، وهذا ما يؤدي إلى تشكّل معادن جديدة تأخذ شكل العظام. وبهذه الطريقة، تبدو المستحاثات التي يستخرجها العلماء مثل سبيكة مصبوبة في قالب حيث تتشكل هذه السبائك ببطء شديد عبر ملايين السنين، وتعطي صورة دقيقة جدًا عن العِظم أو ورقة النبات الأصلية. وهذه الخصائص هي التي تجعل هذه المستحاثات مصدر معلومات موثوق يعتمد عليه علماء المستحاثات ليتعرفوا على أنواع النباتات والحيوانات التي كانت تعيش على سطح الأرض منذ ملايين السنين.

صورة لمستحاثة فصيلة الجرابيع لم تكن معروفة آنذاك عثر عليها العلماء بالقرب من منطقة بينونة كانت تعُرف باسمها العلمي أبوظبيا بينونينسيس.

تطَّورت الحيوانات حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن وحول المناخ الذي كان سائدًا في الحقبة الميوسينية. توصل العلماء إلى تحديد نوعين من الحيوانات التي كانت تعيش في أرض الإمارات خلال تلك الحقبة الجيولوجية، حيث عاشت التماسيح، وأفراس النهر، والأسماك، والسلاحف والمحار في مياه الأنهار العذبة؛ بينما عاشت أنواع أخرى على السهول القريبة من الأنهار حيث كان بعضها من فصيلة آكلة الأعشاب مثل الزرافات والفيلة. وقد توصل علماء المستحاثات إلى أن قطيعًا من تلك الفيلة كان يعيش بالقرب من منطقة مليسه في منطقة الظفرة بإمارة أبوظبي وذلك من خلال العثور على آثار أقدامها في قاع البحيرة في تلك المنطقة. أما النوع الثاني من تلك الحيوانات فقد كانت آكلة اللحوم بعضها من فصيلة السنوريات مثل السنور ذي الأنياب السيفية، وبعضها الآخر من فصيلة الضبعيات مثل الضباع. بالإضافة إلى ذلك، كانت تعيش في تلك الفترة أنواع عديدة من الطيور مثل الأسلاف الضخمة لطيور النعامة، والقوارض صغيرة الحجم مثل الفئران والجربوع حيث عثر علماء المستحاثات على مستحاثة فصيلة من الجرابيع لم تكن معروفة آنذاك بالقرب من منطقة بينونة كانت تعُرف

باسمها العلمي أبوظبيا بينونينسيس، وهي كلمة لاتينية تشير إلى حقيقة أنها كانت تعيش في منطقة بينونة من إمارة أبوظبي. بالمقابل، لا تتوافر معلومات كثيرة عن أنواع النباتات التي كانت موجودة في أرض الإمارات خلال الحقبة الميوسينية، لكن هذه المعلومات رغم قلّتها تؤكد وجود الأشجار آنذاك حيث تم العثور على مستحاثات لجذوع أشجار تشبه أشجار السنط (الصمغ العربي) الموجودة اليوم.

العصور الجليدية والصحارى: الفترة الجيولوجية الرابعة في الإمارات

يطلق العلماء اسم "الفترة الجيولوجية الرابعة" على الفترة الزمنية الممتدة منذ 2.5 مليون سنة إلى يومنا هذا. وتتميز هذه الفترة الجيولوجية بالتغيرات البيئية الكبرى، وظهور الإنسان الحديث (الجنس البري)، ووجود القارات في مواقعها الجغرافية تقريبًا نفسها التي نعرفها الآن، ولكن مع مناخ مختلف مما يعني بالضرورة وجود تضاريس مختلفة جدًا عما هي عليه اليوم.

أظهر علماء المناخ أن مناخ الكرة الأرضية قد خضع إلى تغيرات (دورات مناخية) منتظمة كل 100,000 سنة وذلك منذ 750,000 سنة مضت تقريبًا. وقد أدت هذه الدورات المناخية إلى الفترات الجليدية و الفترات الفاصلة ما بين الجليدية. فخلال الفترة الجليدية، تشكلت الكتل الجليدية فوق القطبين الشمالي والجنوبي وامتدت باتجاه القارات، وتميزت بمناخ أكثر برودة وجفافًا. من جانب آخر، كانت تحدث فترة فاصلة ما بين كل فترتين جليديتين حيث يتراجع فيها الجليد، وترتفع فيها درجة حرارة الأرض ونسبة هطول الأمطار. في الوقت الحاضر، تعيش الأرض فترة فاصلة ما بين فترتين جليديتين يسميها العلماء الحقبة الهولوسينية التي ابتدأت منذ حوالي 15,000 سنة. صحيح أن الكتل الجليدية خلال الفترات الجليدية

الكثبان الرملية الحمراء قبالة الجبال في إمارة الشارقة.

صورة لأحد الوديان في جبال الحجر. شقت هذه الوديان مسارها في الجبال على مدى آلاف السنين.

الأولى امتدت جنوبًا لكنها لم تصل دولة الإمارات العربية المتحدة، لكنها لا تزال تؤثر على سطح الأرض ومناخها.

عندما كانت ترتفع نسبة هطول الأمطار، كانت الأنهار تتدفق عبر أجزاء من أرض الإمارات وتتجه نحو الخليج العربي. وما يدل على ذلك وجود سبخة مطي في منطقة الظفرة من إمارة أبوظبي التي كانت تحتوي على مجرى نهري ضخم ومجموعة من البحيرات، بالإضافة إلى الأودية التي تشكلت بفعل هطول الأمطار في جبال الحجر. وقد لعبت هذه الأودية دورًا مهمًا في حياة الشعوب التي عاشت في تلك المنطقة في فترة زمنية لاحقة. فقد استخدم الناس تلك الأودية معبرًا للتنقل بين الجبال، واستفادوا من تربتها الخصبة في زراعة المحاصيل. وقد أدى هطول الأمطار في تلك الجبال إلى انزلاق كميات كبيرة من الأتربة والصخور التي استقرت في الأجزاء المنخفضة من الأرض لتشكل على مر السنين تشكيلات أرضية مسطحة تُسمى السهول الرسوبية التي يمكن أن نرى أمثلة عليها اليوم عند حافة سلسلة الجبال الممتدة من رأس الخيمة جنوبًا باتجاه مدينة العين، وكذلك على الساحل الشرقي. علاوة على ذلك، تسربت مياه الأمطار إلى باطن الأرض حيث استقرت هناك في فجوات صخرية ضخمة لآلاف حتى جاء الإنسان وبدأ بتطوير أساليب لاستخراجها والاستفادة منها.

كما شهد العصر الجيولوجي الرابع تغيرات في مستوى المياه في الخليج العربي، فمنذ حوالي 20,000 سنة مضت، كان الخليج العربي تقريبًا جافًا، أما نهرا دجلة و الفرات في العراق، فقد كانا يشكلان نهرًا واحدًا يتدفق على طول مضيق هرمز ليصب في بحر العرب. ومن أبرز الآثار التي ترتبت على جفاف الخليج العربي في تلك الفترة الزمنية أن الرياح القوية التي كانت تهب عليه كانت تدفع كميات كبيرة من الرمال والأتربة إلى الأراضي المجاورة، وهذا هو أحد التفسيرات لانتشار الكثبان الصحراوية البديعة على أرض دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم.

الفصل

2

الفترة الزمنية الممتدة من 200,000 إلى 10,000 ق.م

أدت أعمال التنقيب عن الآثار في جبل الفاية في إمارة الشارقة إلى معرفتنا كيف ومتى وصل الإنسان للمرة الأولى إلى دولة الإمارات العربية المتحدة.

جبل الفاية وهجرة البشر من أفريقيا

ظهرت سلالة الإنسان الحديث قبل 200,000 سنة تقريبًا في أفريقيا، وانتشرت من هناك إلى مختلف بقاع العالم. وقد عثر علماء الآثار في فلسطين على الأدلة الأولى التي تشير إلى هجرة سلالة الإنسان الحديث من أفريقيا إلى المنطقة المعروفة الآن باسم الشرق الأوسط. وكانت تلك الأدلة عبارة عن مستحاثات بقايا الإنسان التي وجدها العلماء في كهف القفزة وكهف السخول في فلسطين. وتشير هذه المستحاثات البشرية المكتشفة إلى انتقال البشر من أفريقيا إلى فلسطين عبر وادي النيل بين 120,000 سنة و 80,000 سنة مضت.

أسفرت أعمال التنقيب في جبل الفاية في إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة عن اكتشاف أدلة جعلت العلماء يغّيرون إعتقادهم الذي كان سائدًا حول الهجرات البشرية، فقد عثر علماء الآثار في موقع جبل الفاية على أدوات حجرية تشبه تلك الأدوات التي سبق اكتشافها في شرق أفريقيا، وتشمل تلك اللقى الحجرية وفؤوسًا يدوية وأدوات لتقطيع الطعام. وبناء على ذلك، **قّدر العلماء أنه تم دفن الأدوات الحجرية بين 130,000 سنة و95,000 سنة مضت**. وهكذا استنتج العلماء أن البشر قد هاجروا من أفريقيا إلى شبه الجزيرة العربية في تلك الفترة الزمنية تقريبًا. ولا توفر الاكتشافات الحديثة في جبل الفاية الأدلة التي قد تشير إلى احتمال وجود ممر غير معروف سابقًا سلكه الإنسان في هجرته إلى خارج أفريقيا فحسب، وإنما قد تشير أيضًا إلى أن البشر الذين يتشابهون من الناحية التشريحية قد هاجروا من أفريقيا قبل عشرات آلاف السنوات أكثر مما كان يظن العلماء.

لا تشير الاكتشافات الحديثة في جبل الفاية فقط إلى احتمال وجود ممر غير معروف سابقًا سلكه الإنسان في هجرته إلى خارج أفريقيا، وإنما تشير أيضًا إلى أن البشر الذين يتشابهون من الناحية التشريحية قد هاجروا من أفريقيا قبل عشرات آلاف السنين أكثر مما كان يظن العلماء.

موقع جبل الفاية حيث تم اكتشاف أول دليل على استيطان البشر في دولة الإمارات العربية المتحدة.

كيف وصل البشر إلى جبل الفاية وماذا حدث لهم؟

في العصر الحديث، انتقل الإنسان من أفريقيا إلى شبه الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر، وهذا ما جعل العلماء يفضلون دائمًا نظرية هجرة الإنسان الأول من أفريقيا عبر ممر يقع إلى الشمال من قارة أفريقيا من خلال مجرى نهر النيل ومن ثم الوصول إلى فلسطين، غير أن تغير المناخ (الذي ناقشناه في الفصل 1) لم يؤثر على هطول الأمطار فقط، وإنما على مستوى البحر أيضًا.

فقبل 130,000 سنة تقريبًا، كان منسوب البحر الأحمر أدنى بكثير من مستواه الحالي، الأمر الذي يعني أن الانتقال من أفريقيا إلى شبه الجزيرة العربية كان أشبه بالإبحار في نهر صغير. ويجزم العلماء بعد اكتشافات جبل الفاية أن البحر الأحمر كان أحد الممرات التي سلكها البشر في هجرتهم من أفريقيا إلى شبه الجزيرة العربية.

خلال تلك الفترة الزمنية، كان معدل هطول الأمطار في شبه الجزيرة العربية أعلى بكثير مما هو عليه اليوم، مما يعني أن المجموعات البشرية التي هاجرت إلى شبه الجزيرة العربية وجدت فيها مراعي وأعدادًا كبيرة من الحيوانات البرية استطاعوا صيدها بسهولة بسبب المستوى العالي من الذكاء والمهارة التي كانوا يتحلون بها. لم تستقر تلك المجموعات البشرية هناك إلى الأبد، بل ظلت في ترحال حتى وصلت مجموعة منها إلى جبل الفاية حيث تركوا الأدوات الحجرية التي استخدموها ليأتي علماء الآثار ويكتشفوا تلك الآثار بعد 130,000 سنة من استيطانهم هناك.

كان المناخ، على أية حال، يتغير باستمرار، فقد **أصبح المناخ أكثر جفافًا مرة أخرى قبل 75,000 سنة**. ومن المرجح أن ذلك التغير المناخي قد دفع المجموعات البشرية التي كانت تستوطن أرض الإمارات آنذاك إلى أن تقرر الهجرة مرة ثانية مما جعلها تنفصل عن تلك المجموعات البشرية الموجودة من جهة الغرب والجنوب في اليمن والسعودية. ولم يتسبب جفاف المناخ بتلك الهجرة فقط، بل جعل الخليج العربي يجف ليتحول إلى

مجرد نهر عادي، وهذا ما جعله بالتالي مرتعًا يستقطب مجموعات متنوعة من الحيوانات التي أصبحت صيدًا سهلًا للمجموعات البشر ية التي كانت تعبر الخليج العربي في طريقها نحو إيران ومن ثم إلى باكستان والهند.

من شبه الجزيرة العربية إلى العالم

لقد وفرت الأدوات الحجرية المكتشفة في جبل الفاية أدلة مهمة على حركة انتقال البشر عبر شبه الجزيرة العربية حيث كان الناس في حقيقة الأمر ينتقلون منها إلى آسيا فأوروبا ومن ثم أمريكا. وهذا يدل على أن اكتشافات جبل الفاية قد وضعت الإمارات العربية المتحدة على خريطة المواقع العالمية التي تشكل مفتاحًا أساسيًا لمعرفة المراحل الأولى من تاريخ الإمارات. لكن يجب التنويه هنا إلى أن هذه المعرفة ليست ثابتة، بل إنها تتغير على الدوام مع اكتشاف علماء الآثار لمواقع أثرية جديدة، وتطويرهم منهجيات جديدة لدراسة الأدلة التاريخية التي يعثرون عليها.

على سبيل المثال، لا يزال علماء الآثار في حالة نقاش مستمرة دون أن يستقروا على رأي حول مصير المجموعات البشرية التي هاجرت إلى جنوب آسيا قبل حوالي 75,000 سنة مضت. في سعيهم للبحث عن الأدلة، وجد هؤلاء العلماء ضالتهم في بركان هائل ثار قبل آلاف السنوات في موقع تحتله اليوم بحيرة طوبا في أندونيسيا، وتسبب بدمار على نطاق واسع.

أدوات من العصر الحجري مكتشفة في جبل الفاية توضح علاقة التشابه مع الأدوات المكتشفة في أفريقيا التي انطلقت منها الموجات البشرية الأولى إلى جميع أنحاء العالم.

لقد كان انفجار البركان من القوة ما جعل العلماء يطلقون عليه اسم "الثوران الكبير" لأنه قذف بآلاف الأطنان من الحمم والرماد البركاني على رقعة واسعة من جنوب آسيا وصولًا إلى بحر العرب. وهذا ما دفع بعض العلماء إلى الاعتقاد أن ذلك الثوران البركاني كان هائلًا جدًا لدرجة أنه لم ينج سوى 3,000 شخص من أسلافنا البشر الذين بقوا على قيد الحياة؛ بينما ادعى علماء آخرون أن ذلك الانفجار البركاني لم يكن على تلك الدرجة من الخطورة بحيث استطاعت تلك المجموعات البشرية أن تنجو منه بسهولة. ولن يُحسم هذا الجدال إلا مع إجراء المزيد من الأبحاث مستقبلًا والتي قد تسفر عن نتائج جديدة تساعدنا على معرفة ماذا حل بتلك المجموعات البشرية. وبالرغم من ذلك، يبدو أن البشر آنذاك قد استطاعو تغيير أساليب الصيد والتي كانوا يتبعونها مع تغير البيئة من حولهم.

تواصل انتشار سلالة الإنسان الحديث في مختلف مناطق العالم وانتقلوا للعيش في أستراليا قبل حوالي 50,000 سنة. أما البشر الذين كانوا يستوطنون الشرق الأوسط قبل 40,000 سنة، فقد توجهوا نحو أوروبا والأجزاء الشمالية من الشرق الأوسط حيث التقوا هناك بأناس بدائيين. تشير الدلائل إلى أن الإنسان الحديث كان يتفوق على الإنسان البدائي بمهاراته المختلفة وقدراته على الصيد. وربما بسبب هذا الاختلاف أخذ الإنسان البدائي بالانقراض ربما من 30,000 سنة إلى 40,000 سنة قد مضت. وبذلك شهدت أوروبا آنذاك ظهور مستوطنات الجنس البشري الحديث الذين انتقلوا إليها عبر الشرق الأوسط قبل آلاف السنين.

الفصل

3

تطوّر المجتمع، الفترة (8000-3200 ق.م)

كان الهطول المطري الصيفي شائعًا في (العصر الحجري الحديث).

مقدمة

على مدى آلاف السنين الممتدة بين عامي (36000 و10000 ق.م)، ترا كمت طبقة سميكة من الرمال في جبل الفاية مما يدل على أن المناخ كان شديد الجفاف آنذاك. ورغم أنه لا يزال أمام علماء الآثار الكثير لاكتشافه في تلك المنطقة، إلا أن الأدلة التي توفرت لديهم حتى الآن تدفعهم إلى الاعتقاد أن عدد الناس الذين كانوا يعيشون في أرض الإمارات كان قليلًا في تلك الفترة الزمنية، وأنهم على الأرجح قد عاشوا فقط في المناطق الواقعة الآن تحت مياه الخليج العربي.

منذ حوالي عام 8000 إلى 4000 ق.م كان مناخ دولة الإمارات العربية المتحدة مختلفًا كثيرًا عن مناخها الحالي.

بالنسبة للفترة الزمنية بعد عام 10000 ق.م، فقد عثر علماء الآثار على مواقع أثرية عديدة في مختلف أنحاء دولة الإمارات العربية المتحدة جمعوا منها أدلة أفضل بكثير جعلتهم يعرفون جيدًا ما حدث في هذه المناطق خلال تلك الفترة الزمنية. لقد عرفوا جيدًا أن المناخ أخذ يتغير مجددًا، وأن الأرض صارت أكثر سهولة حتى يعيش الناس عليها، وأن حقبة (العصر الحجري الحديث) في شبه الجزيرة العربية كانت على وشك أن تبدأ. بالرغم من تلك الأدلة المكتشفة، لا يزال علماء الآثار يجهلون إن كان البشر الذين عاشوا في تلك الفترة الزمنية ينحدرون من سلالة الذين عاشوا في جبل الفاية قبل ذلك بآلاف السنين.

التغير المناخي في عام 8000 ق.م

يُعتبر التغير المناخي قضية مهمة في العصر الحديث، ويستخدم العلماء وسائل عديدة لمعرفة كيف تغير المناخ الحالي عما كان عليه قبل مئة عام (انظرالفصل2). والعلماء الذين يدرسون المناخ القديم يستخدمون هذه الوسائل نفسها ليتعرفوا على المناخ قبل آلاف السنين.

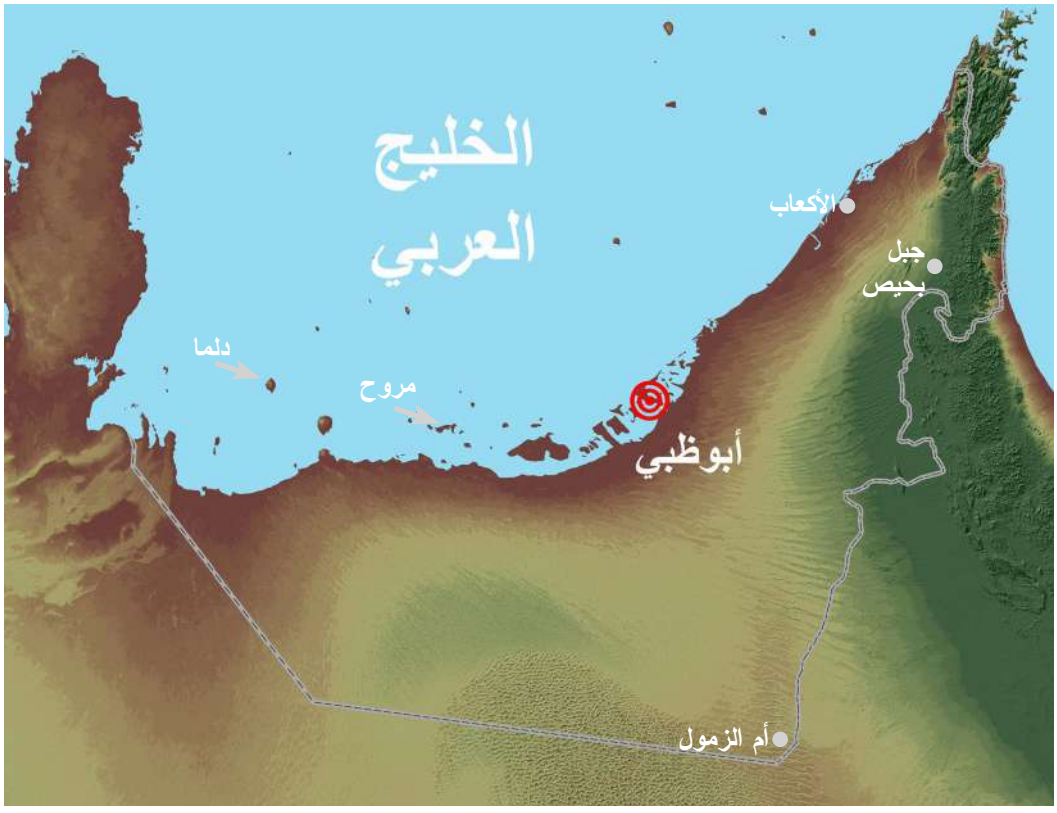

صورة لإحدى البُرك المائية التي كانت تنتشر عند جبال عوافي خلال (العصر الحجري الحديث)

من أهم اكتشافات هؤلاء العلماء أن مناخ الإمارات خلال (العصر الحجري الحديث) الممتد من حوالي عام (8000 إلى 4000 ق.م) كان مختلفًا جدًا عن مناخها الحالي. حاليًا تشهد دولة الإمارات هطول أمطار قليلة، غالبًا في فصل الشتاء، بينما تكون فصول الصيف طويلة وحارة وجافة. ويسود هذا النوع من المناخ حاليًا في جميع الدول المجاورة لدولة الإمارات العربية المتحدة باستثناء منطقة ظفار في سلطنة عُمان التي تتميز بانخفاض درجات الحرارة في الصيف وهطول الأمطار في الشتاء أكثر من أي مكان آخر في المنطقة؛ ويعود ذلك إلى أن الرياح الموسمية للمحيط الهندي تحمل أمطارًا صيفية ودرجات حرارة أدنى إلى إقليم ظفار. **وقد رأى العلماء أنه منذ حوالي عام 8000 ق.م تحركت الرياح الموسمية ببطء نحو الشمال لتدخل شبه الجزيرة العربية** حاملةً معها أمطارًا وربما درجات حرارة أدنى. لا نعرف بدقة كمية الأمطار التي هطلت خلال تلك الحقبة، ولكنها كانت كافية لتملأ البحيرات في وسط الصحراء. وقد تم العثور على بقايا إحدى هذه البحيرات بالقرب من منطقة عوافي في رأس الخيمة؛ وهناك بحيرات كثيرة غيرها معروفة في مختلف منطقة دولة الإمارات العربية المتحدة.

التوسع

غيرت الأمطار المتزايدة تضاريس شبه الجزيرة العربية، فقد توسعت مساحة المراعي العشبية، وأصبح الناس يتنقلون بخيامهم من منطقة إلى أخرى بشكل موسمي، كما بدأوا يتصلون مع الآخرين في بلاد الشام أي سورية والأردن ولبنان وفلسطين، ويتعاملون معهم تجاريًا، فقد كان التجار أو الأشخاص القادمون من بلاد الشام يأتون بقطعان الأبقار والأغنام والماعز المدجنة إلى أرض الإمارات. ووجد سكان الإمارات في هذه الحيوانات مصدرًا للحوم والصوف وبدرجة مهمة الحليب، وكانوا يربّونها ضمن قطعان ويتنقلون بها إلى مختلف أنحاء المنطقة خلال السنة. وأطلق العلماء على

التدجين

لجأ الإنسان منذ القِدم إلى التدجين في سعيه لتأمين قوته اليومي، أي أنه كان يأخذ النباتات البرية ويزرعها، أو يصيد حيوانات برية ويربيها. استفاد الإنسان من الحيوانات المدجنة كثيرًا فحصل منها على غذائه مثل الحليب واللحوم والبيض واستخدمها للنقل، كما وفرت زراعة النباتات مصدرًا غذائيًا أكثر للإنسان وجعلته أكثر استقرارًا في المناطق التي كان يعيش فيها. إلا أن زراعة المحاصيل كان لها أيضًا بعض الآثار السلبية، فقط يضطر الناس للبقاء في مكان واحد طوال السنة وبالتالي يصبح غذاؤهم أقل تنوعًا مما أدى إلى معاناتهم من الأمراض. وقد كان بإمكان الناس آنذاك تربية الحيوانات المدجنة ضمن قطعان والترحال بها إلى مختلف أنحاء المنطقة، و يُطلق العلماء على هؤلاء الناس اسم الرعاة البدو.

نمط الحياة هذا اسم البداوة الرعوية، وقد كان هذا النمط على الدوام جزءًا مهمًا من الحياة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

كما كان الناس الذين عاشوا في الإمارات آنذاك يصيدون الحيوانات البرية مثل المها العربي (نوع من بقر الوحش الأفريقي) والغزلان والإبل. وقاموا بتطوير تقنيات مميزة لصنع الأدوات الحجرية حيث كانوا يقطعون نصل الحجر لصنع رؤوس سهام وأدوات قاطعة حادة، ويمكن حاليًا مشاهدة هذه الأدوات في العديد من المواقع الأثرية. ويوجد أحد مواقع هذه المخيمات في عمق صحارى أبوظبي، بالقرب من أم الزمول، حيث أدت الأمطار إلى تشكّل بحيرات موسمية فيها.

أطلق العلماء اسم "**نيوليثيك**" أو "(العصر الحجري الحديث)" على الحقبة الممتدة من حوالي عام (8000 إلى 3000) ق.م نظرًا لأن الناس بدأوا العمل بالأحجار حديثًا في حياتهم وتغير نظامهم الغذائي آنذاك. وقد حصل العلماء على معلومات كثيرة عن تلك الحقبة الزمنية بعد أعمال التنقيب في موقع جبل بحيص في إمارة الشارقة مما أكسبه أهمية خاصة. **فقد عثر علماء الآثار في هذا الموقع على العديد من المواقد التي يعود تاريخها إلى ما بين عامي 5000 و4000 ق.م**، ووجدوا في هذه المواقد عظام أغنام وماعز وأبقار بالإضافة إلى عظام حيوانات كان يتم صيدها مثل الجمل. كما وجد العلماء في جبل بحيص مقبرة ضخمة، فقاموا بإجراء دراسات على العظام المأخوذة من هذه المقبرة، وحصلوا على معلومات مهمة حول الحياة في دولة الإمارات خلال (العصر الحجري الحديث) (انظر الفقرة أدناه) .

نظرًا لأن العمل بالأحجار كانت جديدة على المنطقة، وترافقت مع تغير في النظام الغذائي لسكان هذه المنطقة، تُسمى الحقبة الممتدة من حوالي عام 8000 إلى 3000 ق.م "نيوليثيك" أو "(العصر الحجري الحديث)".

منظر لأعمال التنقيب عن الآثار في جبل بحيص.

الصحة والنظام الغذائي في الإمارات خلال (العصر الحجري الحديث)

استطاع العلماء التوصل إلى معلومات في غاية الأهمية حول صحة وغذاء الناس الذين عاشوا في أرض الإمارات خلال (العصر الحجري الحديث) من خلال الدراسات التي أجروها على العظام والأسنان التي عثروا عليها في موقع جبل بحيص. كشفت تلك الدراسات أن **متوسط عمر النساء بلغ 33 سنة ومتوسط عمر الرجال 36 سنة**. ورغم أن متوسط العمر هذا يبدو قليلًا بالنسبة لنا اليوم، إلا أنه كان طبيعيًا خلال تلك الفترة التاريخية. وتختلف الأسباب الرئيسة لوفاة الرجال عن النساء، فقد كانت وفاة الرجال تحدث بمعظمها بسبب المعارك مع المجتمعات الأخرى، بينما كانت الوفاة خلال الولادة السبب الرئيس لوفاة معظم النساء آنذاك.

لاحظ العلماء وجود تآكل شديد في طبقة الأسنان العليا نتيجة لعملية المضغ، فاستدلوا من ذلك أن الناس الذين كانوا يعيشون في الإمارات آنذاك كانوا يتبعون نظامًا غذائيًا غنيًا باللحوم. كما لم يلاحظوا انتشار تسوس الأسنان بين الناس آنذاك وذلك على عكس الحقبة الزمنية اللاحقة التي صار الناس يأكلون فيها التمر والقمح والشعير. ولدى دراستهم للعظام المكتشفة، لم يلاحظ العلماء أية حالات نقص فيتامين أو كالسيوم في العظام، غير أنهم لاحظوا علامات نادرة تشير إلى الموت جوعًا وكان معظمها لدى الأطفال صغار السن. ومن الاكتشافات المدهشة أن سكان جبل بحيص حصلوا على غذاء أفضل خلال (العصر الحجري الحديث) بالمقارنة بالعصرين البرونزي والحديدي. بعبارة أخرى، توصل العلماء إلى أن الناس الذين دُفنوا في جبل بحيص لم يعانوا من نقص في الفيتامينات أو الكالسيوم، بل كانوا أقوياء وطوال القامة ويتمتعون بصحة جيدة. حافظت هذه القوة والصحة على أهميتها في حضارة دولة الإمارات لآلاف السنين حيث كانت ضرورية للعمل الشاق بصيد اللؤلؤ والسمك الذي شكّل جزءًا من الحياة اليومية حتى وقت قريب جدًا.

الحياة الساحلية

لم تقتصر إقامة الناس في البر فقط، بل عاشوا أيضًا على ساحل وجزر الإمارات خلال (العصر الحجري الحديث)، وهذا نعرفه من اكتشاف علماء الآثار **لقريتين قديمتين على جزيرتي مروح ودلما غرب أبوظبي يعود تاريخهما إلى بداية (العصر الحجري الحديث)**، كما عثروا على مبانٍ حجرية متقنة الإنشاء على جزيرة مروح، وكان أحد هذه المباني يُستخدم كمدفن؛ حيثُ وجَدت فيه هياكل عظمية بشرية. كما صنع السكان الذين عاشوا على هذه الجزيرة أدوات حجرية دقيقة شملت رؤوس السهام

في الأعلى: نصال دقيقة الشكل من (العصر الحجري الحديث) تشبه النصال المكتشفة في جبل بحيص وكانت تُستخدم لصيد الحيوانات.

إلى اليمين: تفاصيل لهياكل عظمية من (العصر الحجري الحديث) في جبل بحيص.

منظر لقرية الأكعاب وبحيرتها في أم القيوين حيث كان سكان (العصر الحجري الحديث) يعيشون في مخّيمات بشكل موسمي.

(نصال) والرماح والمكاشط التي كانت شائعة في تلك المنطقة بشكل عام.

من خلال دراسة تلك اللقى، عرف العلماء أن سكان جزيرة دلما كانوا يعرفون طريقة صنع السفن والإبحار في المياه العميقة إذ أن عظام الأسماك المأخوذة من هذه الجزيرة ضمت عظام أنواع تعيش في المياه العميقة ولا يمكن صيدها إلا بعيدًا عن الشاطئ. وبالإضافة إلى صيد السمك في عمق البحر، كان سكان دلما يجمعون المحار ويصيدون الحيوانات كالغزال المها العربي. كما كانوا يربّون الأغنام والماعز التي وفرت لهم اللحم والحليب.

وعثر العلماء أيضًا على بقايا نوى التمر في المواقد على جزيرة دلما، **مما يثبت أن الناس كانوا يأكلون التمور في الإمارات قبل 7,000 سنة على أقل تقدير**، لكنهم على الأرجح لم يزرعوا أشجار النخيل آنذاك وإنما كانوا يجمعون التمور البرية على جزيرة دلما أو على البر الرئيس.

قرية مروح في (العصر الحجري الحديث) قبل 8000 سنة بعد إعادة تصميم هذه الصورة لها باستخدام تقنيات الحاسوب.

جرت أعمال التنقيب في قرية الأكعاب، في إمارة أم القيوين، وهي قرية ساحلية مهمة تعود إلى (العصر الحجري الحديث) وتقع على جزيرة صغيرة في وسط بحيرة. وقد عثر علماء الآثار في هذا الموقع على الكثير من عظام الأطوم، وهو حيوان ثديي بحري كبير، تعود إلى حوالي 6,000 سنة مضت، واعتقد علماء الآثار في البداية أن هذا الموقع كان يشهد تقطيع حيوانات الأطوم للحصول على لحمها وترك عظامها متناثرة على الأرض. كما تم اكتشاف أشياء مشابهة في مواقع أخرى على ساحل وجزر دولة الإمارات العربية المتحدة. ولكن أعمال التنقيب الإضافية أظهرت أن قر ية الأكعاب كانت مختلفة، فقد رتّب الناس بعناية العظام لصنع منصة لا بد أنها كانت تُستخدم في بعض الطقوس الدينية عند وجود احتفال ضخم في القرية.

أظهرت أعمال التنقيب الإضافية أن قرية الأكعاب كانت مختلفة، فقد رتّب الناس بعناية العظام لصنع منصة لا بد أنها كانت تُستخدم في بعض الطقوس الدينية عند وجود احتفال ضخم في القرية.

اعتمدت الحياة في هذه الجزر الإماراتية اعتمادًا شديدًا على معرفة سكانها بالبحر وموارده؛ وقد بقيت الجزر جزءًا مهمًا من حضارة دولة الإمارات العربية المتحدة حتى الوقت الحاضر. ومن أهم هذه الجزر، جزيرة **صير بني ياس** التي قام الباني المؤسس لدولة الإمارات العربية المتحدة، المغفور له بإذن الله، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بتحويلها إلى محمية للحياة الفطرية في عام 1977.

آنية فخارية تعود إلى الحقبة العُبيدية في بلاد مابين النهرين عُثر عليها في قرية مروح حيث كانت مثل هذه الأواني الفخارية تحظى بتقدير كبير من سكان (العصر الحجري الحديث) في منطقة الإمارات.

(بلاد ما بين النهرين)

"كان الإغريق القدماء يستخدمون تسمية "ميزوبوتاميا" للإشارة إلى أجزاء من العراق القديم، وهي تعني حرفيًا "ما بين النهرين" وتشير إلى الأرض الخصبة التي كانت موجودة بين نهري دجلة والفرات. وهنالك نشأت الحضارات و التطورات المهمة مثل الكتابة والمدن الأولى بين عامي (4000 و3000) ق.م.

بدايات التجارة البحرية

عثر علماء الآثار على إناء فخاري على جزيرة مروح يعود إلى **حقبة العُبيد في (بلاد ما بين النهرين)، وهي حقبة دامت من عام 5300 إلى حوالي 4000 ق.م**. ويعود تاريخ ذلك الإناء إلى ما قبل عام 5000 ق.م، أو ما يزيد عن 7000 سنة. ويكمن أهمية الاكتشاف في أن النشاط التجاري كان موجودًا في الأصل في بداية هذه الحقبة.

بعد عام 5000 ق.م، ازدادت التجارة مع (بلاد ما بين النهرين) في حقبة العبيد. و عُثر على أوانٍ من هذه الحقبة في أماكن كثيرة على طول ساحل الإمارات حيث كانت تُستخدم هذه الأواني على الأرجح للشرب. صنع سكان جزيرة دلما من هذه الأواني؛ نسخًا جصية وفي حينها لم يكن الناس في الإمارات قد بدأوا بصناعة الأواني الخاصة بهم من الصلصال بعد.

كما عُثر على عدد أكبر بكثير من أواني الحقبة العُبيدية في شرق المملكة العربية السعودية. ومن المرجح أن أواني الحقبة العُبيدية التي وُجدت في الإمارات نتجت عن التجارة مع هذه المنطقة. ولهذا السبب كان الناس في الإمارات قد طوروا المهارات البحرية اللازمة للإبحار عبر مياه الخليج العربي. لم تقتصر هذه المهارات على المعرفة بصنع السفن فقط، وإنما شملت أيضًا المعرفة بالرياح والتيارات البحرية السائدة آنذاك في الخليج العربي؛ وبقيت هذه المعرفة على أهميتها في حضارة الإمارات لآلاف السنين.

ظل علماء الآثار يتساءلون حول سبب انتشار أواني الحقبة العُبيدية في منطقة الخليج العربي. لكنهم سرعان ما وجدوا الإجابة الشافية التي بددت حيرتهم. فقد كشفت أعمال التنقيب التي جرت مؤخرًا في أبوظبي وأم القيوين والشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة عن أدلة تثبت أن سكان الإمارات كانوا يمارسون الغوص بحثًا عن اللؤلؤ منذ 7,000 سنة. حيث كان سكان الإمارات يستخدمون اللؤلؤ لصناعة الحلي مثلما أظهرت اللقى في جبل بحيص. ذلك، يرجح علماء الآثار أن أحد الأسباب المحتملة لانتشار أواني الحقبة العُبيدية هو أن الناس من (بلاد ما بين النهرين) كانوا يرغبون بالحصول على اللآلئ التي كانت موجودة في مياه الإمارات وقطر والبحرين ولم تكن متوفرة في (بلاد ما بين النهرين)، وهذا ما جعل تلك اللآلئ محط طلب شديد، وجعلها أيضًا تبقى جزءًا مهمًا من الاقتصاد لآلاف السنين.

كشفت أعمال التنقيب في أبوظبي وأم القيوين والشارقة عن أدلة تثبت أن سكان الإمارات كانوا يمارسون الغوص بحثًا عن اللؤلؤ منذ 7,000 سنة مضت.

الصعوبات الناشئة عن جفاف المناخ

منذ حوالي عام 4000 ق.م، أو 6,000 ق.م. من الآن، بدأت الرياح الموسمية للمحيط الهندي بالتحرك جنوبًا إلى موقعها الحالي ما أدى إلى انخفاض معدل هطول الأمطار في معظم أنحاء الإمارات. ويمكن ملاحظة نتائج ذلك التغيّر في المناخ في الطبقات الرملية المتبقية في بحيرة عوافي الأثرية في رأس الخيمة.

وجد علماء الآثار صعوبة متزايدة في العثور على أدلة تثبت أن الناس كانوا يعيشون في الإمارات في تلك الفترة الزمنية، حيث يرجح العلماء أنه كان من الصعب على الناس آنذاك أن يقيموا لوقت طويل في المناطق الداخلية من الإمارات نتيجة لانخفاض معدل الأمطار، لكنهم تمكنوا من التكيف مع تلك الظروف المناخية الجديدة. وتشير الأدلة التي عُثر عليها في جزيرة الأكعاب إلى أن سكان الإمارات قد طوروا طقوسًا يتم فيها تقاسم الغذاء مع مجموعات سكانية أخرى. **وهكذا تعاونت المجتمعات مع بعضها من أجل تجاوز المحن، وبقي ذلك التضامن الاجتماعي جزءًا مهمًا من مجتمع الإمارات؛ وحتى عندما تعرض المجتمع للمجاعة مرة اخرى، تكاتف الناس معًا وظلوا على ثقة بأن المستقبل سيحمل لهم أيامًا أفضل.**

مع اقتراب نهاية (العصر الحجري الحديث) في منطقة الإمارات، كانت المناطق المجاورة تمر بتغييرات هائلة. ففي (بلاد ما بين النهرين)، ظهرت الكتابة كوسيلة لإدارة الاقتصاد وأعمال الناس. وقد عثر علماء الآثار على سجلات للمعاملات الاقتصادية التي كانت تقوم بها الدولة على الألواح الطينية كاللوح في الصورة أعلاه والذي يعود إلى العام 3500 ق.م. لكن دون أن يبدو أن هذه التغيرات وجدت طريقها إلى منطقة الإمارات التي ظلت المجتمعات السكانية فيها تتعاون سويةً للتغلب على التحديات المناخية التي واجهتها.

صيد اللؤلؤ في الإمارات

كشفت أعمال التنقيب التي جرت في دولة الإمارات العربية المتحدة عن وجود أدلة على ممارسة سكان الإمارات لمهنة صيد اللؤلؤ في زمن مبكر جدًا. فقد احتوت بعض المواقع الأثرية في أبوظبي وأم القيوين والشارقة على أدلة تثبت أن سكان الإمارات كانوا يمارسون الغوص بحثًا عن اللؤلؤ قبل أكثر من 7,000 سنة. ورغم هذه الأدلة، لا يمتلك علماء الآثار سوى أدلة قليلة حول الطريقة التي كان ينظم بها سكان الإمارات نشاط صيد اللؤلؤ آنذاك، والذي يتطلب امتلاك الناس لمعرفة خاصة بمكان تواجد مغاصات اللؤلؤ وطريقة الوصول إليها. لقد كان الناس آنذاك يجمعون المحار ومن ثم يستخرجون اللآلئ منه في حال وجوده. بعد ذلك كان باستطاعتهم استخدام الجزء المتبقي من المحار (المعروف بأم اللؤلؤ) لصنع مواد الزينة كالسبحة والعقود. وبهذه الطريقة شهد (العصر الحجري الحديث) في شبه الجزيرة العربية انطلاق مهنة تميزت بها دولة الإمارات لاحقًا على مدى آلاف السنين.

خلال تلك الفترة، بقي الساحل الشرقي منطقة حيوية للعيش حيث تمكّن الناس من استغلال موارد البحر والحصول على الماء العذب والحيوانات والنباتات البرية من الجبال، ولكن حتى هنا في الساحل الشرقي كانت الحياة في غاية الصعوبة.

على الرغم من تلك التحديات، استطاع السكان تدبّر أمرهم والبقاء على قيد الحياة. وبعد ذلك بحوالي ألف سنة، عثر العلماء على دليل آخر على اتساع نطاق المستوطنات البشرية في الإمارات، ولكن هذه المرة كانت الحياة قد تغيرت كثيرًا عما كانت عليه في (العصر الحجري الحديث).

الفصل الدّراسي الثّاني

الفصل

4

بداية (العصر البرونزي) وظهور الواحات

بُنيت مدافن حفيت التي عُثر عليها في جبال الحجر في مناطق مرتفعة بحيث كان باستطاعة السكان مشاهدتها من أي مكان خلال تنقلهم في أرجاء المنطقة.

مقدمة

بدأ المناخ بالتغير مجددًا منذ حوالي عام 3000 ق.م، أو قبل 5,000 سنة من الآن، ليشبه المناخ في وقتنا الحالي مع هطول كميات قليلة من الأمطار في فصل الشتاء. وقد دفع هذا التغيّر المناخي المجموعات البشرية المقيمة على السواحل للانتقال نحو البرّ لقضاء جزء من السنة في المناطق الداخلية حيث تنشأ فيها المراعي العشبية بعد هطول الأمطار، كما أتاح لهم أيضًا صيد الحيوانات وتربية قطيع الأغنام والماعز والأبقار مثلما فعلوا تمامًا قبل عام 4000 ق.م.

إلا أن المجتمع الإماراتي في ذلك الوقت كان يختلف كثيرًا عما كان عليه خلال (العصر الحجري الحديث)، حيث شهدت المنطقة تغيرات كبيرة بدءًا من حوالي عام 3000 ق.م. وقد أطلق العلماء على السنوات الخمسمئة التالية، من عام (3000 إلى 2500 ق.م)، اسم (بداية (العصر البرونزي) ولكنهم أيضًا يشيرون إليها باسم "حقبة حفيت" على اسم جبل حفيت الكائن بالقرب من مدينة العين. اكتشف علماء الآثار على جبل حفيت، وقبل أكثر من 50 سنة، عشرات المدافن الحجرية المختلفة، ومنذ ذلك الحين تم العثور على آلاف أخرى من هذه المدافن في مختلف أنحاء الدولة.

أصبحت هذه المدافن تعُرف باسم **"مدافن حفيت"** نظرًا لاكتشافها أولًا في جبل حفيت. وفي العصور القديمة، تعرضت مدافن كثيرة للسرقة، ولكن مدافن أخرى قدمت معلومات مهمة حول الحياة آنذاك حيث كان يتم دفن عدة أشخاص في مدافن يمكن رؤيتها من على بعد عدة كيلومترات.

كما عثر العلماء في هذه المدافن على أوانٍ فخارية من (بلاد ما بين النهرين)، لكنهم لم يعرفوا، حتى وقتنا، سبب هذه التجارة بين المنطقتين.

حوالي عام 3000 ق.م، شهدت جميع أنحاء المنطقة تغيرات كبيرة. وقد أطلق العلماء على السنوات الخمسمئة التالية، من عام 3000 إلى 2500 ق.م، اسم "مطلع (العصر البرونزي)" ولكنهم يشيرون إليها أيضًا باسم "حقبة حفيت" على اسم جبل حفيت الكائن بالقرب من مدينة العين.

خريطة توضح مكان المواقع الأثرية المهمة في واحة العين التي تعود للعام 3000 ق.م.

بعثة علماء الآثار من النرويج وهم يكشفون عن مدافن جبل حفيت الأولى في الستينات من القرن الماضي (والذين حضروا بناء على دعوة من المغفور له -بإذنه تعالى- الشيخ زايد).

يَعرِف علماء الآثار جيدًا أن مجتمع (بلاد ما بين النهرين) كان مختلفًا جدًا آنذاك عن مجتمع الإمارات. **ففي (بلاد ما بين النهرين) ظهرت المعابد الضخمة خلال الفترة الأوروكية (3800 - 3100 ق.م) وكانت هذه المعابد تجمع المنتجات الزراعية من العاملين في الحقول** حيث لم يكن كهنة المعابد يسمحون للناس باختيار مهنتهم، بل كانوا يكلّفون الناس بأعمال محددة يجب عليهم تأديتها أو يواجهون العقاب، وفي المقابل كان المعبد يزوّد الناس بالغذاء. أضف إلى ذلك أنّ الموارد الطبيعية لم تكن توزّع بالتساوي على السكان. ولهذين السببين، كان عدد الأثرياء قليلًا جدًا في تلك الفترة الزمنية.

احتاج هذا الاقتصاد الجديد إلى موارد جديدة مثل النحاس والحجارة الصلبة التي لم تكن متوفرة في جنوب (بلاد ما بين النهرين)، لكنها كانت متوفرة في أرض الإمارات. وربما يكون هذا السبب هو الذي جذب التجار إلى شواطئ الإمارات وجلبوا معهم أواني (بلاد ما بين النهرين) التي وُجدت في مدافن حفيت للتجارة بها.

مع نهاية الألف الرابع قبل الميلاد في (بلاد ما بين النهرين)، ظهرت المعابد كمركز اقتصادي وسياسي للمدينة. يوضح التمثال الصغير في الصورة الهدايا التي كان الناس يقدمونها للمعابد.

زمن التغيير

شرحنا في الفصل الثالث كيف كان سكان الإمارات في حوالي عام 5000 ق.م يحصلون على غذاء جيد ويتمتعون بصحة جيدة جدًا بشكل عام. وتدل الهياكل العظمية المكتشفة من مدافن في رأس الحد في عُمان على أن الحياة أصبحت في غاية الصعوبة بعد عام 4000 ق.م لأن المناخ أصبح أكثر جفافًا. كان الناس يكافحون للحصول على غذاءٍ كافٍ، كما أنّ الأمراض انتشرت. ومع الأسف، لا يوجد بحوزتنا هياكل عظمية كثيرة من حقبة جبل حفيت لتساعدنا على فهم غذاء وصحة الناس الذين عاشوا في تلك المنطقة في حوالي عام 3000 ق.م، ولكن توضح أدلة أخرى أن العلاقة بين الناس وبيئتهم كانت تتغير بسرعة فائقة.

الزراعة

على مدى آلاف السنين، ظل الناس يعتمدون في غذائهم على جمع النباتات البرية وأكلها إلى أن بدأت بعض الشعوب، وليس جميعها، في منطقة الشرق الأوسط بزراعة نباتاتهم الخاصة مثل القمح والشعير من خلال نثر بذورها في الأرض وتأمين مياه نقية لري هذه المحاصيل. وهكذا كانت بداية الزراعة كنشاط إنساني.

خلال (العصر الحجري الحديث)، كان الناس يتنقلون في مختلف أنحاء الإمارات بسهولة نظرًا لأنه أصبحت لديهم معرفة جيدة بالطبيعة ومواردها، وأماكن نمو النباتات الصالحة للأكل، والمناطق التي تتوفر فيها المياه بسهولة تحت الأرض. **وبالاعتماد على هذه المعرفة، بدأ بعض الناس بالعيش في المكان نفسه لمعظم السنة حوالي عام 3000 ق.م، كما بدأوا بزراعة المحاصيل.**

لم تقتصر تلك التغيرات المناخية على منطقة الإمارات وشبه الجزيرة العربية فقط، بل حدثت تغيرات مشابهة في العديد من مناطق الشرق الأوسط لكن قبل ذلك بوقت طويل، ربما حوالي عام 9000 ق.م. دفع هذا الاختلاف في توقيت تلك التغيرات المناخية علماء الآثار إلى الاعتقاد في البداية أن الإمارات وأجزاء كبيرة من شبه الجزيرة العربية كانت متخلفة عن بقية المناطق في الشرق الأوسط، ولكن الدراسات التي أجريَت حول الناس القدماء الذين بدأوا بممارسة الزراعة والعيش في مكان واحد طوال السنة بّينت غالبًا أن هذا الأمر أدى إلى تردي صحة وغذاء أولئك الناس. فقد كانوا يعتمدون على زراعة المحاصيل كالقمح والشعير وأهملوا الموارد الغذائية الأخرى، فإذا أصاب القحط محاصيلهم، لم يكن يتوفر لديهم سوى القليل من الخيارات الغذائية الأخرى. علاوًة على ذلك، كانوا يعيشون في المكان نفسه طوال السنة، وهذا ما يساعد على انتشار الأمراض بسهولة داخل القرية. لقد استطاع سكان الإمارات تفادي هذه المشكلات خلال (العصر الحجري الحديث) إذ حافظوا على نمط حياة يعتمد على النشاط والتنقل واستخدموا أجزاء مختلفة من أراضي المنطقة.

عندما بدأ الناس بزراعة المحاصيل في حوالي عام 3000 ق.م في الإمارات، كانت هذه المحاصيل مجرد مصدر واحد من مصادر كثيرة للغذاء ولم تصبح المصدر الأهم أبدًا حيث استمروا بالصيد وجمع الموارد البرية من البر والبحر واستخدام قطعان الحيوانات التي كانوا يربّونها.

العين والواحات الأولى

إن أقدم دليل بحوزتنا على زراعة المحاصيل في الإمارات يعود إلى منطقة **هيلي 8** الأثري في العين حيث قام علماء الآثار بالحفر والكشف عن هذه القرية في أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات من القرن الماضي، وهي تتألف من برج كبير جدًا مربع الشكل تم بناؤه من الطوب الطيني المجفف بأشعة الشمس، ومن خلال تحديد التاريخ بالكربون الشعاعي قدّر العلماء تاريخ بنائها بين عامي (3300 و2900 ق.م) ورغم أنه لا يمكن لنا أن نجزم شيئًا حول طبيعتها، إلا أنها تبدو كأحد الحصون التي بُنيت من لبنات طينية خلال القرون القليلة الماضية في العين.

زرع السكان الذين عاشوا في منطقة العين حوالي عام 3000 ق.م محاصيل متنوعة، ومن أهم هذه المحاصيل أشجار النخيل (انظر إلى الفقرة بعنوان "أشجار النخيل") حيث وفرت تلك الأشجار موادًا للبناء وصنع السلال بالإضافة إلى الغذاء. كما زرعوا القمح والشعير، لكن مياه الأمطار لم تكن تكفي لزراعة هذه المحاصيل، لذلك اضطروا لاستخراج المياه العذبة من خلال حفر الآبار لسحب المياه من باطن

الأرض إلى السطح، ومن ثم كانوا يصبّون الماء المستخرَج داخل قنوات تنقله إلى الحقول (انظر إلى الفقرة أدناه بعنوان "المياه في الصحراء"). ومع مرور الزمن، أصبح لدى سكان الإمارات المهارة والمعرفة لابتكار طرق أكثر فعالية للحصول على المياه حيث كانوا بين أول الشعوب التي استخدمت الأفلاج في الري (انظر الفصل 7).

على الرغم من ظهور الزراعة في الإمارات القديمة حوالي عام 3000 ق.م، بقي سكان الإمارات يستخدمون طرقًا تقليدية لجمع الغذاء حيث كانوا يجمعون النباتات البرية ويقطفون ثمار النبق من شجرة السدر، ويصيدون الحيوانات مثل المها والغزلان والجِمال البرية. وقام سكان القرى الواقعة على الساحل والجزر بتطوير طرق فعّالة لصيد الأسماك الضخمة كالتونة؛ أما البدو الرعاة الذين كانوا يقطنون في البر، فقد تابعوا نمط حياتهم حيث كانوا يتنقلون مع قطعانهم من الأغنام والماعز في مختلف أنحاء المنطقة خلال فصلي الشتاء والصيف، وكانوا على الأرجح إلى جانب ذلك يمارسون التجارة مع قرى جديدة مثل هيلي 8. وبحلول عام 3000 ق.م، تم استخدام الحمير من قبل السكان كوسيلة لنقل البضائع على طول الساحل وحول حواف الجبال. لكن ظلّ من الصعب عليهم عبور الكثبان الرملية الضخمة التي كانت تفصل العين عن ساحل أبوظبي ودبي إلى أن استطاعوا تدجين الجمل العربي وحيد السنام (انظر الفصل 7).

إن أقدم دليل بحوزتنا على زراعة المحاصيل في الإمارات يعود إلى منطقة هيلي 8 الأثري في العين حيث قام علماء الآثار بالحفر والكشف عن هذه القرية في أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات من القرن الماضي، وهي تتألف من برج كبير جدًا مربع الشكل تم بناؤه من الطوب الطيني المجفف بأشعة الشمس.

أدّت بدايات الزراعة في منطقة الإمارات حوالي عام 3000 ق.م إلى ظهور المزارع على نطاق ضيق والتي لا تزال موجودة في الجبال.

على الرغم من ظهور الزراعة في الإمارات القديمة حوالي عام 3000 ق.م، بقي سكان الإمارات يستخدمون طرقًا تقليدية لجمع الغذاء حيث كانوا يجمعون النباتات البرية ويقطفون ثمار النبق من شجرة السدر، ويصيدون الحيوانات مثل المها العربي والغزلان والجِمال البرية.

آثار مستوطنة هيلي 8 في مدينة العين ويعود تاريخها إلى حوالي العام 3000 ق.م.

المياه في الصحراء

في الوقت الحاضر، يبلغ معدل هطول الأمطار في دولة الإمارات حوالي 100 ملليمتر سنويًا، وتحدث معظم هذه الهطلات المطرية خلال شهور الشتاء عندما يتحرك الهواء المثقل بالرطوبة نحو الخليج العربي أو على طول الجبال في إيران. وعلى الرغم من وجود بعض الاختلاف في معدل هطول الأمطار بين أجزاءالدولة المختلفة) مثلًا، يبلغ معدل هطول الأمطار في رأس الخيمة أكثر بقليل من أبوظبي) إلا أنه يمكن وصف مناخ دولة الإمارات العربية المتحدة عمومًا بأنه "صحرواي". وبالنسبة للناس الذين عاشوا في المنطقة قديمًا، خلقت ندرة الأمطار هذه صعوبات وفرصًا لهم في آن واحد. **من أبرز هذه الصعوبات استحالة زراعة المحاصيل الحقلية إلا إذا بلغ معدل هطول الأمطار حوالي 300 ملليمتر سنويًا**. وحتى في حال

أشجار النخيل

حظيت التمور بأهمية واضحة في حياة سكان الإمارات، وأجزاء أخرى من الشرق الأوسط، لآلاف السنين. فبالإضافة إلى التمور، حصل سكان الإمارات من أشجار النخيل على الكثير من المواد التي كانت تشكّل جزءًا كبيرًا من حياتهم اليومية. فقد كانوا عادةً يجنون التمور في منتصف فصل الصيف، لكنهم لم يتناولوا التمور في الصيف فقط، بل كانت التمور تتحول إلى ثمار طرية ومن ثم جافة في الشهور التالية، وكانوا يأكلونها في هذين الشكلين تمامًا كما يفعلون في الوقت الحاضر. ليس هذا فحسب، بل كان السكان في كافة أنحاء الإمارات يصنعون سائلًا من التمور يُسمى **الدبس**؛ وتتكون هذه العملية من وضع كمية كبيرة من التمور في سلة مصنوعة من سعف النخيل حيث تُغلق بإحكام ومن ثم توضع على سطح له أثلام (شقوق) مع وضع إناء عند طرف السطح المثلم، وبفعل قوة جاذبية الأرض، ينساب السائل ببطء من سلة التمور إلى الأثلام حيث يسيل فيها إلى أن ينسكب في الإناء. تُسمى هذه التجهيزات "المدبسة"، وكانت من المعالم الشائعة في الحصون والمنازل الكبيرة في مختلف أنحاء شرق شبه الجزيرة العربية، **كما تم اكتشافها في البحرين وتبّين أنها تعود إلى منتصف الألفية الثانية ق.م، وفي مدينة مويلح القديمة التي يبلغ عمرها 3000 سنة وتقع على أطراف مدينة الشارقة الحالية.**

وكان الدبسُ يحفظ لعدة أشهر ويشكّل مصدرًا مهمًا للسعرات الحرارية والسكر إلى أن يحين موعد جني التمور في الصيف التالي.

لم تكن التمور سوى واحدة فقط من فوائد زراعة أشجار النخيل، فزراعة أشجار النخيل أدت إلى نشوء مناطق محمية من أشعة الشمس الحارقة يستطيع السكان الإقامة فيها في الصيف. أيضًا وفرت أشجار النخيل موادًا للبناء والحرف اليدوية حيث كان السكان يستخدمون سعف النخيل كمادة رئيسة لبناء أكواخ "العريش"، ويستخدمونها أيضًا لصناعة السلال والحبال، بينما كانوا يستفيدون من الضلع الأوسط لسعف النخيل في صناعة الأثاث. وبعد أن تتوقف شجرة النخيل عن إنتاج التمور، كان السكان يستخدمون جذعها الرئيس لبناء المنازل. في الحقيقة، من المنصف القول إن شجرة النخيل كانت أهم نبات زرعه سكان الإمارات في الماضي.

هطول هذا المعدل من الأمطار، فيجب أن تهطل بانتظام سنويًا، وهذا ما لا يحصل في دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث ليس مستغربًا أن تهطل كميات قليلة جدًا من الأمطار لعدة سنوات ومن ثم يهطل مقدار 200 ملليمتر خلال بضعة أسابيع فقط من فصل الشتاء، مما يعني أن "الزراعة الجافة"، أي الزراعة بالاعتماد فقط على الأمطار لريّ المحاصيل، لم تكن ممكنة بالنسبة للكثير من المحاصيل التي أصبحت فيما بعد ذات أهمية في كافة أنحاء المنطقة.

وعلى الرغم من ندرة الأمطار في دولة الإمارات العربية المتحدة، إلا أنه توجد كميات هائلة من المياه تحت سطح الأرض. كما رأينا في الفصل الأول، كان المناخ في دولة الإمارات مختلفًا جدًا في الماضي البعيد وحتى عام 4000 ق.م تقريبًا كانت تهطل كمية من الأمطار أكثر من الوقت الحاضر، لكنها كانت تتسرب بسرعة في رمال الصحراء وسفوح الجبال الحصوية لتتجمع تحت سطح الأرض. كان من الممكن أن تبقى مياه الأمطار في مكامنها الجوفية لآلاف السنين، وأحيانًا كانت تتفجر على شكل ينابيع، كما هو الحال في منطقة حتّا في دبي. وفي حالات أخرى كانت تنبجس بالقرب من الساحل حيث تتواجد فوق المياه المالحة الأثقل منها وتقترب من السطح كما هو الحال في أبوظبي. أدرك سكان الإمارات القدماء سريعًا وجود كميات كبيرة من المياه تحت سطح الأرض، وابتكروا طرقًا جديدة للوصول إليها، ومن أول الأمثلة على ذلك **البئر الذي عُثر عليه في موقع هيلي 8 الأثري في العين، ولكن بعد وقت قصير طوّر الناس طرقًا أكثر تعقيدًا مثل الفلج** (انظر إلى الفصل 7) .

صورة لأحد الآبار التي كانت تنتشر في المنطقة خلال (العصر البرونزي).

تطور الصناعات الحرفية

تذكر نصوص قديمة من (بلاد ما بين النهرين) بعد عام 3,000 ق.م أرضًا اسمها "بلاد مجان" كانت أحد أهم مصادر النحاس.

كُتبت هذه النصوص باللغة السومرية أو الأكادية وباستخدام الحروف المسمارية. المؤرخون واثقون تمامًا من أن مجان هو الاسم القديم لدولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان. حيث تدل آثار دولة الإمارات العربية المتحدة على أن تعدين وشغل النحاس كانا من الأنشطة بالغة الأهمية بعد عام 3000 ق.م.

تحتوي مدافن حفيت التي يعود تاريخها إلى حوالي عام 3000 ق.م على عدد قليل من خطاف الأسماك (شص صيد السمك) والمسامير والمخارز النحاسية، وتمّثل هذه الأشياء بداية استخدام النحاس في منطقة الإمارات القديمة. على الأرجح كان يتم استخراج النحاس المستخدم لصنع هذه الأشياء من المناجم في جبال الحجر. وبعد وقت قصير أصبحت الإمارات أحد أهم منتجي النحاس في العالم القديم (انظر الفصل 5) .

بالإضافة إلى الصناعات النحاسية، مارس سكان الإمارات المحليون أنشطة اقتصادية أخرى حوالي عام 3000 ق.م. فقد تأثروا بأواني (بلاد ما بين النهرين) التي وُجدت في مدافن حفيت وشجعتهم على صناعة أوانٍ خاصة بهم حيث جمعوا الصلصال من حواف الوديان في الجبال ومزجوا هذا الصلصال مع الرمل والحجارة المسحوقة ليقوموا بتشكيل الأواني على دواليب بسيطة. ومثّل ذلك انطلاق صناعة الفخار في الإمارات.

باختصار، شهدت الحقبة القريبة من عام **3000 ق.م** تطورات كثيرة في كافة أنحاء الإمارات حيث **زرع السكان المحاصيل وشيدوا المباني وطوروا تقنيات جديدة مثل تعدين وصهر النحاس**، كما قاموا بتربية قطعان الحيوانات وصيد الحيوانات البرية واستغلال الموارد البحرية الوفيرة. بعبارة أخرى، مزجوا طرق العيش التقليدية مع الأفكار والتقنيات الجديدة. وخلال القرون التي تلت ذالك، أصبح إيجاد التوازن بين هذه الأفكار مهم جدًا مع بدء سكان الإمارات بالتجارة مع جيرانهم في منطقة الخليج العربي و(بلاد ما بين النهرين).

البرونز

البرونز هو عبارة عن خليط من النحاس ومعادن أخرى أكثرها شيوعًا كالقصدير. تحتوي جبال الحجر في دولة الإمارات العربية المتحدة على كميات كبيرة من النحاس، أما المعادن الأخرى اللازمة لإنتاج البرونز فكان لا بد من الحصول عليها من المناطق المجاورة. على سبيل المثال، كان السكان يجلبون القصدير من أفغانستان وباكستان. وحتى يتمكنوا من مزج هذه المعادن معًا كانت هذه العملية تحتاج إلى كميات كبيرة من الوقود إلى جانب المعرفة والمهارة. ومع تقدم (العصر البرونزي) أصبح سكان الإمارات حرفيين ماهرين وتمكنوا من تعدين النحاس وإنتاج مصنوعات متنوعة من البرونز.

صورة لخطاف (شص) كبير مصنوع من البرونز وُجد في تل أبرق وكان يُستخدم في صيد الأسماك الضخمة مثل الهامور.

الفصل

5

حضارة أم النار الفترة الممتدة من: (2000-2500 ق.م)

صورة المدفن الكبير في الهيلي كان يحتوي على بقايا رفات مئات الأشخاص الذين كانوا يعيشون في قرية الهيلي المجاورة وماتوا فيها.

مقدمة

قبل حوالي 4,500 سنة من الآن، أي بحدود عام 2500 ق.م، طرأت تغيّرات هائلة على الحياة اليومية لسكان منطقة الإمارات. لكن سكان الإمارات تعلموا كيف ينجحون في التكّيف مع تلك التغيّرات ولا سيما المناخ المتغير، وهذا النجاح جعلهم يشكّلون مجتمعًا مزدهرًا يعتمد على المعرفة التي كانوا يتناقلونها من جيل إلى آخر. وقد تجلّى ذلك في معرفة سكان الإمارات الأماكن التي كانوا يستطيعون فيها رعي الأغنام والماعز والأبقار، والمناطق التي يمكنهم فيها صيد الحيوانات كالمها العربي والجِمال والغزلان. من ناحية ثانية، استمر الساحل العربي بلعب دور مهم في حياة سكان الإمارات، وفي حوالي عام 3000 ق.م كان الناس قد بدأوا بصنع الأواني الفخارية وتشييد المباني من اللبنات الطينية وزراعة المحاصيل.

تسارعت وتيرة هذه التغيّرات حوالي عام 2500 ق.م حيث بنى سكان الإمارات آنذاك العشرات من المدن والقرى الجديدة التي كان العديد منها يتضمن برجًا كبيرًا مبنيًّا من اللبنات الطينية أو الحجارة. وقد عثر علماء الآثار على نماذج منها في مختلف أنحاء دولة الإمارات من العين في إمارة أبوظبي إلى تل أبرق وكلباء على الساحل الشرقي، كما عثروا على بعضها في شمال عُمان. كانت هذه الأبراج ضخمة يمكن رؤيتها من على بُعد عدة كيلومترات، وهذا دليل على أن الناس بدأوا بزراعة المزيد من المحاصيل آنذاك، كما بدأوا بصنع أوانٍ فخارية وأسلحة وأدوات برونزية مميزة.

خريطة توضح مواقع حضارة أم النار 2500 - 2000 ق.م ذات الأهمية التاريخية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

أسفرت أعمال التنقيب في جزيرة أم النار بأبوظبي عن العثور على أولى اللقى الأثرية من هذه الحقبة اكتشفها عالم الآثار جيفري بيبي في خمسينيات القرن العشرين. رغم عدم اكتشافها من قبل، كان السكان المحليون في تلك المناطق من دولة الإمارات على علم بوجود البقايا القديمة على هذه الجزيرة وفي مناطق أخرى على مدى قرون، كما كانوا يعرفون أنها تعود إلى ماضٍ بعيدٍ جدًا، ولكن لميتم الكشف عنها إلا في أواخر الخمسينيات حيث حّدد علماء الآثار الدنماركيون أن تاريخ المدافن والمباني يعود لمرحلة ما من (العصر البرونزي) (3000 - 1200 ق.م). وبفضل ذلك الاكتشاف آنذاك، أصبحنا نعرف قدرًا أكبر من المعلومات عن هذه الحضارة وعلاقاتها التجارية الكثيرة؛ **ومن المتعارف عليه الآن أن تاريخها يمتد بين عامي 2,500 و2,000 ق.م**. وبعد الاكتشافات في أم النار بحوالي ستين سنة، لا يزال العلماء يطلقون على نمط الحياة القديم هذا اسم "حضارة أم النار" وهو اسم مشتقّ من اسم الجزيرة التي عُثر فيها أولًا على اللقى الأثرية من تلك الحقبة التار يخية.

النحاس والتجارة

تختلف المدن والقرى التي كانت موجودة في الإمارات حوالي عام 2500 ق.م بصورة كبيرة عن المدن والقرى في دولة الإمارات الحديثة؛ رغم ذلك نستطيع أن نجد شيئًا مشتركًا بين ذلك الماضي السحيق والحاضر الذي نعيشه الآن. في الوقت الحاضر، تحتل دولة الإمارات العربية المتحدة مركزًا اقتصاديًا مهمًا اكتسبته بصورة تدريجيّة من جراء اكتشاف النفط فيها في خمسينيات القرن العشرين وحاجة جميع دول العالم لهذا المصدر الثمين للطاقة. وبفضل اكتشاف النفط، استطاعت دولة الإمارات العربية المتحدة أن تنمو وتتحول إلى بلد مزدهر يستقطب الكثير من الناس الذين يأتون إليها بهدف التجارة والعمل فيها. من ناحية ثانية، إذا ما عدنا إلى حوالي العام 2500 ق.م نجد أن الناس في مختلف أنحاء الشرق الأوسط كانوا بحاجة للنحاس وليس للنفط، حيث كانت المدن الجديدة في (بلاد ما بين النهرين) بحاجة للنحاس من أجل صنع الأسلحة والأدوات الزراعية، ونظرًا لعدم توفر النحاس في (بلاد ما بين النهرين)، كان لا بد من استيراده من الإمارات ومناطق أخرى. تحتوي سلسلة جبال الحجر على كميات هائلة من النحاس الذي تعلم الناس طريقة استخراجه من المناجم وصهره لتحويله من معدن خام وصخور إلى نحاس نقي. بعد ذلك، كانوا يصدّرون النحاس إلى المدن الساحلية مثل أم النار في أبوظبي أو تل أبرق في الشارقة، ومن ثم شحنه إلى (بلاد ما بين النهرين) ومناطق أخرى.

اندفع التجار من مختلف المناطق إلى منطقة الإمارات لعقد صفقات تجارية. كان هؤلاء التجار يجلبون معهم أواني خزفية جميلة وأمشاطًا مصنوعة من العاج وخرزات مزخرفة كتلك التي عثر العلماء عليها مثلًا في مدافن أم النار وفي تل أبرق أو العين. ومن خلال قراءة النصوص المكتوبة بالحروف المسمارية من (بلاد ما بين النهرين)، نستطيع أن نأخذ فكرة جيدة عن كمية النحاس التي تم تصديرها والمكان الذي ذهبت إليه؛ وأحد النصوص من الفترة التالية مباشرةً لحقبة أم النار يذكر شحنة واحدة تتضمن أ كثر من 18 طنًّا من النحاس. كما تدلنا تلك النصوص على أسماء بعض هؤلاء التجار والمكان الذي أتوا منه وكيف كانوا يمارسون تجارتهم مع الآخرين. نعلم أن سكان جزيرة أم النار آنذاك لا بدّ وأنهم قد

التجميل في (العصر البرونزي)

قبل آلاف السنين، كان سكان الإمارات يحرصون على الظهور بأحسن مظهر.

ورغم أننا لا نعرف سوى معلومات قليلة جدًا عن الملابس التي كانوا يرتدونها، إلا أننا نعلم جيدًا أن تقاليد الزينة التي كان سكان الإمارات يستعملونها في حياتهم اليومية في الماضي القريب لها أصول قديمة للغاية. مثلًا، وضع الكحل، وهو أحد أنواع ماكياج العيون، له تاريخ طويل وكان يُستخدم جزئيًّا لأنه يلفت الانتباه إلى العيون ولكن كذلك لأنه يحمي العين من الرمل. وقد عثر علماء الآثار على نماذج من نوع قديم للكحل يُسمى "أتكامايت" داخل أوعية صدفية في موقع تل أبرق، ما يدل على أن تقليد الكحل له تاريخ طويل جدًا. كما نعلم جيدًا أن الناس الذين عاشوا خلال (العصر البرونزي) كانوا يرتدون عقودًا مصنوعة من خرزات جميلة مستوردة من الهند، كما كانوا يثبّتون شعرهم من الخلف بأمشاط مصنوعة من العاج. وبأيدينا معلومات أقل عن الملابس رغم أن النصوص القديمة تخبرنا أنه كان يتم تصدير الصوف من (بلاد ما بين النهرين) إلى الإمارات، ومن المحتمل أن الغاية من ذلك كانت صنع الملابس. أيضًا كان الناس يرتدون الملابس المصنوعة من الكتان، وهو قماش يُصنع من نبات الكتان، حيث عُثر على قطعة من الكتان القديم في مدافن أم النار في موقع تل أبرق.

مكحلة وكحل العيون عمرها 3,000 سنة عُثر عليها في قرية مويلح بالشارقة.

صورة للمغفور له الشيخ زايد رحمه الله، أول رئيس لدولة الإمارات العربية المتحدة، وهو يتفقد أعمال التنقيب عن الآثار في مدينة العين.

صورة لبعض الأوزان من بلاد السند التي ساعدت الناس على تبادل البضائع والتجارة بثقة عبر مسافات شاسعة.

التقوا بهؤلاء التجار القادمين من العراق وإيران وجنوب آسيا؛ إلّا أننا لا نعلم ما هي اللغة التي كانوا يستخدمونها خلال هذه اللقاءات. من المرجح أنها كانت مختلفة جدًا عن اللغة العربية، ومن المحتمل أن تكون قد نشأت لغة مشتركة يستطيع معظم الناس فهمها والتواصل بها. على أية حال، هنالك شيء واضح لدينا وهو أن التجار المسافرين من جنوب آسيا إلى الإمارات والبحرين و(بلاد ما بين النهرين) كانوا يستخدمون نظامًا متطورًا جدًا للوزن حيث كانوا يستخدمون أثقالًا حجرية لا تزيد عن 8 غرامات لقياس وزن المواد الثمينة كالذهب، وقد عُثر على بعض هذه الأثقال في دولة الإمارات العربية المتحدة مما يدل على وجود اتفاق شامل حول الأوزان في كافة أنحاء منطقة الخليج العربي منذ عام 2500 ق.م تقريبًا.

رغم أن سكان الإمارات كانوا يعيشون في منازل بسيطة في ذلك الوقت، إلا أنهم كانوا مصدرين مهمين للنحاس إلى (بلاد ما بين النهرين) عبر البحرين. تدل النقوش على هذا اللوح الطيني من (بلاد ما بين النهرين) على تفاصيل إحدى شحنات النحاس.

كيف تمت تسمية الحضارات القديمة؟

إن مسمّيات بعض الحضارات القديمة أطلقتها تلك الحضارات على نفسها (مثل الرومان)، أو المسميات التي أطلقها الآخرون عليها (مثلًا، المصريون، وهو الاسم الذي استخدمه الإغريق). وفي حالة دولة الإمارات العربية المتحدة، نستخدم أول موقع أثري تم اكتشافه من حقبة معيّنة لتسمية حضارة ذلك المكان. لهذا السبب، تمت تسمية حضارة أم النار على اسم الجزيرة التي وُجدَت عليها ولأول مرة بقايا تعود إلى الحقبة الممتدة من حوالي عام 2500 إلى 2000 ق.م، كما تمت تسمية حضارة وادي سوق (2000 - 1600 ق.م) على اسم وادٍ في عُمان. ويمكن أن نستخدم أيضًا مصطلحًا تقنية مثل العصر النحاسي، (العصر البرونزي)، أو (العصر الحديدي) لوصف الإنجازات التقنية الرئيسة التي حدثت في ذلك العصر.

كان سكان (بلاد ما بين النهرين) يطلقون على الإمارات و عُمان اسم "مجان"، وقد عثر العلماء على هذا الاسم في نصوص مسمارية كثيرة من العراق خلال تلك الحقبة؛ إلا أننا لا نعرف الاسم الذي كان يطلقه سكان الإمارات آنذاك على المنطقة بلغتهم. من المرجح أيضًا أن المنطقة لم تكن موحدة على شكل وحدة كبيرة واحدة، وإنما كانت مقسمة إلى عدة مدن وقرى مختلفة لكل منها حاكمها الخاص، ولا بد أن الحكّام كانوا يجتمعون ويناقشون المشكلات المشتركة على الأرجح إلى جانب المتاجرة والتعامل مع بعضهم البعض بطريقة سلمية. وهنالك دليل على أنهم كانوا يتشاركون في الموارد والتقاليد الحرفية، فكل الأواني الفخارية والمباني والأدوات التي كانوا يستخدمونها متشابهة إلى حد بعيد في المناطق الممتدة من رأس الخيمة إلى أبوظبي، وربما كان الوضع مشابهًا للمشيخات التي كانت موجودة في الماضي القريب لدولة الإمارات العربية المتحدة.

| من المرجح أيضًا أن منطقة الإمارات لم تكن موحدة في دولة كبيرة واحدة آنذاك، وإنما كانت مقسمة إلى عدة مدن وقرى مختلفة لكل منها حاكمها الخاص، ولا بد أن هؤلاء الحكّام كانوا يجتمعون ويناقشون المشكلات المشتركة، وكانوا على الأرجح يتاجرون ويتعاملون مع بعضهم البعض بطريقة سلمية. |

الغذاء

يمكننا القول أن طعام الناس في هذه المنطقة قد تغيّر مع ظهور المدن ونمو الاقتصاد. فقد بدأ سكان المنطقة الداخلية في العين بزراعة المزيد من المحاصيل كالقمح والشعير، وصناعة بعض أنواع الخبز من هذه المحاصيل، كما كانوا يأكلون لحوم أنواع عديدة من الحيوانات المدجنة كالأغنام والماعز والأبقار التي كانت توفر لهم الحليب أيضًا. كذلك استمر الناس بصيد المها العربي والغزلان والجِمال البرية.

كما أصبحت التمور طعامًا شائعًا في الإمارات، حيث عثر علماء الآثار على نوى تمر محروقة في العديد من المواقع الأثرية. خلال تلك الحقبة، ازداد تسوس الأسنان بين الناس ربما بسبب أكل الكثير من التمور. وفي ذلك

كان السكان الذين يسكنون في أم النار وتل أبرق يتاجرون مع المدن الكبرى مثل هارابا الواقعة على نهر السند التي تعُرف الآن باسم باكستان.

صورة لأحد آبار المياه الساحلية في قرية تل أبرق كانت تزود السكان بالمياه العذبة.

العصر، لم يكن بعد قد تم ابتكار مسكنات الألم أو المضادات الحيوية وهذا ما جعل تسوس الأسنان مشكلة صحية في غاية الخطورة لأنه يمكن أن يسبب المرض والموت. ومن المحتمل جدًا أيضًا أن الناس كانوا يأكلون أنواعًا عديدة من النباتات والأعشاب البرية من الصحراء، ونظرًا لأن هذه النباتات لا تترك أي أثر فمن الصعب التأكد من هذا الأمر. مع ذلك، يمكن أن نتخيل أن النباتات البرية الورقية التي يأكلها الناس في الوقت الحاضر، كان الناس يأكلونها في الماضي أيضًا.

كان السكان الذين يعيشون في مدينة أو قرية ساحلية مثل أم النار أو تل أبرق خلال هذه الحقبة يحصلون على تشكيلة غذائية أوسع. نعرف أنهم كانوا يأكلون القمح والشعير من الآثار التي تركتها بذور تلك المحاصيل على اللبنات الطينية في جزيرة أم النار، وكانت المحاصيل متوفرة بكثرة أكبر في المناطق الداخلية. كما توفرت كميات كثيرة من المأكولات البحرية مثل السلاحف، الأسماك، الأطوم، والمحار. وكان الناس يستخدمون الشص النحاسي لصيد الأسماك الكبيرة كالتونة بينما كانوا يرمون الشباك المثقلة بالصخور لصيد الأسماك الأصغر حجمًا من الشاطئ.

الحصون وأكواخ العريش

إن أروع المباني التي تعود إلى حضارة أم النار هي الأبراج التي تم اكتشافها في مختلف أنحاء دولة الإمارات، وهي عبارة عن مبانٍ ضخمة ومدهشة شيّدها السكان من اللبنات الطينية أو الحجارة.

من المرجح أن بعض الأشخاص كانوا يعيشون داخل تلك الأبراج على طوال السنة، بينما كان الأشخاص العاديون يعيشون في أكواخ العريش بالقرب من البرج، وكانت هذه الأكواخ تشبه نوع الأكواخ الذي كان شائعًا في دولة الإمارات في الماضي القريب. ونظرًا لبناء هذه المباني من سعف النخيل وغصون الأشجار الأخرى، فقد كانت مبانٍ مثالية للبيئة الصحراوية الحارة. وكان السكان آنذاك يمارسون معظم الأنشطة اليومية مثل تحضير الطعام خارج الأكواخ في الهواء الطلق.

صورة لأحد مساكن العريش التي كانت تنتشر حول الحصون المشيدة من الطوب الطيني والحجارة خلال حضارة أم النار.

أيضًا كانت هنالك مبانٍ مخصصة لأغراض معينة. مثلاً، توجد على جزيرة أم النار عدة مستودعات لتخزين البضائع المميزة، ومن المواد التي وُجدَت في تلك المستودعات مواد نحاسية ربما كانت معدّة للتصدير وكتل من القار كانت على الأرجح تُستعمل لطلاء السفن التي كانت تبحر صعودًا ونزولًا عبر مياه الخليج العربي (انظر إلى الفقرة التي تحمل عنوان "سفن مجان") .

الموت والآخرة

من أبرز المعالم الأثرية التي كانت تميّز حضارة أم النار هي المدافن الدائرية الضخمة التي عُثر عليها على الساحل وفي الداخل في مختلف أنحاء الإمارات. **بنى السكان هذه المدافن من كتل حجرية اقتلعوها من الجبال. ورغم اختلافها في الحجم، يتراوح قطر معظم هذه المدافن بين 5 و10 أمتار. تحمل بعض تلك الأحجار الضخمة رسومًا وأشكالًا منقوشة على سطحها الخارجي**، ويمكن مشاهدة ذلك في المدفن الكبير الكائن في موقع الهيلي في العين. لا نعرف معنى هذه الرسومات ولكنها أوصلت رسالة ما كانت مفهومة عمومًا ذلك الوقت. وعلى الرغم من عدم وجود لغة مكتوبة في الإمارات آنذاك، كان الناس يتناقلون القصص والأخبار من جيل إلى آخر، وهذا ما ساعد الناس على فهم هويتهم والدور الذي لعبوه في المجتمع. وربما ترتبط النقوش الموجودة على المدافن بهذه القصص بطريقة ما.

على الرغم من عدم وجود لغة مكتوبة في الإمارات آنذاك، كان الناس يتناقلون القصص والأخبار من جيل إلى آخر.

آثار برج في العين يعود إلى حضارة أم النار.

صورة لأحد المدافن في أم النار يحتوي على رفات 400 شخص تقريبًا حيث كان المدفن يجمع بين أجسادهم بطريقة قد تعكس قوة الروابط الاجتماعية التي كانت سائدة في حياتهم.

كان يتم دفن الناس في هذه المدافن بطريقة فريدة من نوعها. وفي مناطق أخرى من الشرق الأوسط كان هناك نوعان من المدافن آنذاك حيث كان يتم دفن معظم الناس في قبور فردية بسيطة مع بعض الأواني كهبات للآلهة، بينما كان يتم دفن أي ملك أو ملكة مع أشياء فاخرة تمثل مدى ثراء الشخص أثناء حياته.

كانت مدافن أم النار تختلف كثيرًا عن غيرها من المدافن في الحضارات الأخرى إذ كانت تحتوي على جثمان مئات الأشخاص الذين ماتوا على مدى فترة طويلة من الزمن. وعند موت أحد الأشخاص، كان ذووه يفتحون المدفن ويضعون جثته في الداخل إلى جانب جثامين أسلافه. وحتى يوفرون مساحة كانوا يزيحون الهياكل العظمية الموجودة في المدفن جانبًا ويضعونها فوق بعضها البعض على شكل كومة. وبشكل عام، لم تكن هناك طقوس دفن مميّزة لأي شخص يتوفى.

تدل طقوس دفن الموتى التي يتبعها أي شعب على الأشياء التي يعتقد أنها مهمة في الحياة. في حضارة أم النار، كان السكان يبنون المدافن فوق سطح الأرض، وفي أغلب الأحيان بالقرب من إحدى المدن أو القرى بحيث يستطيع أي شخص يعيش هناك أن يشاهد كل يوم المدفن الذي **يعرف أن جميع أسلافه مدفونون معًا في المدفن نفسه ودون أي تمييز بينهم في المعاملة. وهكذا كان المدفن يذكّر الناس بأهمية المجتمع**.

بقيت صناعة السفن من الأنشطة المهمة في مجتمع الإمارات على مر التاريخ؛ ومرا كب الداو الشراعية التي تبحر عبر الخليج العربي وإلى الهند في الوقت الحاضر تدين بنشوئها لهؤلاء الرواد في مجال التقنية البحرية من (العصر البرونزي).

سفن "مجان"

تُعتبر صناعة السفن مهارة برع فيها سكان الإمارات قبل آلاف السنين حيث كانوا يجمعون المواد المأخوذة من الأشجار ويشدّونها إلى بعضها بالحبال لكي تبقى متماسكة خلال الرحلات الطويلة. ولا تتسرب إليها المياه، كان سكان الإمارات يطلون سطح السفينة بسائل مصنوع من القار والزيوت الأخرى المستخرجة من الحيوانات. وبعد الانتهاء من طلائها، تصبح السفينة صالحة للإبحار وقادرة على عبور مياه الخليج العربي أو بحر عُمان إلى إيران أو باكستان أو الهند. تذكر نصوص (العصر البرونزي) من (بلاد ما بين النهرين) "سفن مجان السوداء" في وصف دقيق لهذه السفن التي يغطي القار سطحها الخارجي. وأدّت هذه التقنية الجديدة في صناعة السفن إلى زيادة استيراد المواد التي لم تكن معروفة في الإمارات من جنوب آسيا، كما أتاحت تصدير كميات كبيرة من النحاس من الإمارات. وفي عام 2005م، أعاد علماء الآثار بناء سفينة من هذا النوع باستخدام مواد تقليدية وأبحروا فيها عبر مياه البحار المفتوحة.

لقد بقيت صناعة السفن من الأنشطة المهمة في مجتمع الإمارات على مر التاريخ؛ ومراكب الداو الشراعية التي تبحر عبر الخليج العربي وإلى الهند في الوقت الحاضر تدين بنشوئها لهؤلاء الرّواد في مجال التقنية البحرية من (العصر البرونزي).

المرأة في مجتمع أم النار

من الصعب التّعرّف على الأدوار المختلفة التي كان الرجال والنساء يؤدونها في المجتمعات القديمة، ولا يمكن افتراض أن دور لأي منهما في الماضي كان مثل دوره في الوقت الحاضر. ويتعامل علماء الآثار مع هذه المسألة من خلال الدراسة المتأنية للقطع الأثرية والعظام التي يعثرون عليها في المدافن. تشير الشواهد من (العصر البرونزي) إلى زيادة التفرقة بين الرجال والنساء في المعاملة في معظم أنحاء الشرق الأوسط وذلك على خلاف الإمارات. على سبيل المثال، لا تتوفر أدلة على إعطاء النساء مقدار من الطعام أقل من الرجال، أو عدم السماح للنساء باقتناء مواد ثمينة. ولا شك أننا سنحصل على المزيد من المعلومات حول هذا الموضوع من خلال إجراء المزيد من البحوث على العظام التي عُثر عليها في مدافن أم النار.

في تلك المجتمعات، كان هناك على الأرجح شيخ مثلًا وعائلات مهمة حيث كان جميع السكان يحترمون هؤلاء الأشخاص ويطيعون قراراتهم ليس لأنهم أثرياء يملكون كميات من الذهب والفضة، وإنما لأنهم أثبتوا جدارتهم بالاحترام والطاعة من خلال تصرفاتهم التي تدل على الشجاعة أو اللطف أو الحكمة في اتخاذ القرارات.

مجتمع أم النار

كان مجتمع الإمارات خلال حقبة أم النار فريدًا من نوعه إلى حد بعيد حيث كان سكانه يتاجرون مع الدول العظمى آنذاك حيث كانوا موردًا مهمًا لتصدير النحاس إلى (بلاد ما بين النهرين). كما كانوا يشترون البضائع الفاخرة من السفن التجارية التي تبحر إلى موانئ مثل جزيرة أم النار، وكان الناس يزيّنون أنفسهم بأمشاط العاج والقلائد والخرزات الذهبية المستوردة.

تشير النصوص المكتشفة في (بلاد ما بين النهرين) إلى نمو التجارة وتغيّرات محتملة داخل الإمارات في تلك الحقبة. وهنالك **نص يعود تاريخه إلى القرن الثالث والعشرين ق.م، أو إلى ما قبل 4,300 سنة تقريبًا من الآن، ويذكر "32 حاكمًا لمجان"**. من المحتمل أن يكون كل حاكم من هؤلاء الحكّام الاثنين وثلاثين قد أتى من مدينة أو قرية كانت تحتوي على برج ضخم، ولكن مدافن أم النار تدل على أن هؤلاء الحكّام وأولئك الذين استفادوا من التجارة اعتبروا أنفسهم جزءًا من المجتمع حيث كان يتم دفنهم جنبًا إلى جنب مع جميع سكان المدينة أو القرية، وهذا ما جعل مجتمع الإمارات مختلفًا جدًا عن المجتمع الذي كان موجودًا آنذاك في (بلاد ما بين النهرين) أو مصر.

ازدهرت حضارة أم النار المهمة لمدة لاتقلّ عن 500 سنة، واستطاعت بواسطة طرق عديدة ترسيخ بعض أنماط الحياة الأساسية على مرّ التاريخ كالتجارة والزراعة التي لا تزال موجودة في دولة الإمارات العربية المتحدة حاليًا. وفي حوالي عام 2000 ق.م تغير ذلك الوضع المزدهر بشدة، إذ تدل الأنواع الجديدة للقطع الأثرية والمدافن والمستوطنات على أن تغيّرًا مفاجئًا قد حدث في حياة الناس آنذاك.

الفصل

6

زمن التغيير: (2000-1000 ق.م)

مدفن يعود إلى حقبة وادي سوق في جبل بحيص.

مقدمة

انتهت حضارة أم النار حوالي عام 2000 ق.م. رغم أن أسباب هذه النهاية لا تزال مجهولة، إلا أنه من الواضح لدينا أن الأواني الفخارية، والأسلحة وأنواع المنازل التي سكنها الناس في تلك الفترة كانت تتغير بسرعة. **في الفترة (2000 ق.م ولغاية عام 1600 ق.م) انتقل سكان المنطقة إلى مرحلة تاريخية جديدة يُطلق المؤرخون عليها اسم فترة وادي سوق**.

الفترة من عام 1600 وحتى عام 1000 ق.م، تشمل نهاية (العصر البرونزي) وبداية (العصر الحديدي)، ورغم قلة المعلومات المتوفرة نسبيًا، إلّا أن أعمال التنقيب في مواقع مثل تل أبرق، شمل الهيلي، وكلباء وفرت معلومات مهمة عن حياة الناس في الإمارات خلال تلك القرون.

ظلت التغيرات الكبيرة التي حدثت حوالي عام 2000 ق.م لغزًا حير علماء الآثار لسنوات عديدة. فقد هجر الناس القرى والبلدات التي قطنوا فيها أثناء فترة أم النار (2000-2500 ق.م) .

تفسير التغيير

ظلت التغيرات الكبيرة التي حدثت حوالي عام 2000 ق.م لغزًا حيّر علماء الآثار لسنوات عديدة. فقد هجر الناس القرى والبلدات التي قطنوا فيها أثناء فترة أم النار (2000-2500 ق.م) . وقد رجح العلماء سببين رئيسين وراء تلك الهجرة. الأول، هو تراجع التجارة التي كانت تربط الإمارات مع (بلاد ما بين النهرين) والخليج العربي، وجنوب آسيا. ووفقًا لهذه النظرية. اعتمد السكان الذين عاشوا في الإمارات بشكل متزايد على الاستيراد، وحين لم تعد تلك الواردات متوفرة، بدأ المجتمع بالتراجع. غير أن هذه النظرية تعاني من نقطة ضعف، فما نعرفه من علم الآثار عن سكان تلك المنطقة أنهم كانوا يعتمدون كليًا على أنفسهم خلال فترة أم النار (2500 - 2000 ق.م).

خريطة توضح المستوطنات البشرية المهمة التي كانت منتشرة في منطقة الإمارات خلال الفترة الممتدة من العام 2000 إلى العام 1000 ق.م

صورة لإحدى المشغولات الذهبية التي عثر عليها في مدفن وادي سوق، وتدل على ثراء السكان وقدرتهم على شراء بضائع كمالية فاخرة رغم أنهم لم يسكنوا في مستوطنات كبيرة في تلك الفترة الزمنية.

فقد أظهرت لنا الأبحاث التاريخية أنهم كانوا يزرعون محاصيلهم، ويصيدون الحيوانات، ويربّون قطعان الماشية، كما كانوا يستخدمون موارد البحر الوفيرة. بعبارة أخرى، كانت لديهم وفرة من الغذاء. لذا، يصعب علينا تصور أن المجتمع قد تراجع تمامًا لأن المواد المستوردة ما بين خرز العقيق وأمشاط العاج لم تعد متوفرة.

يركز التفسير الثاني لتراجع مجتمع أم النار على تغير المناخ. يعتقد بعض علماء الآثار أن التغيرات في معدل هطول الأمطار منع السكان من مواصلة زراعة المحاصيل. يستند أصحاب هذا الرأي إلى الأدلة التي تثبت أن المناخ أصبح فجأة أكثر جفافًا في أواخر فترة أم النار. ويمكن ملاحظة آثار ذلك الجفاف في طبقات الرمال التي تشكلت في بحيرة قديمة قرب عوافي في رأس الخيمة. وقد تمكن العلماء من أن يحددوا أن هذا "الحدث" المناخي قد وقع في عام 2100 ق.م تقريبًا، أي قبل 100 سنة من نهاية فترة أم النار. لهذا تبدو صلة هذه الأدلة باندثار القرى والبلدات غير واضحة.

| أصبح المناخ فجأة أكثر جفافًا في أواخر فترة أم النار. ويمكن ملاحظة آثار ذلك الجفاف في طبقات الرمال التي تشكلت في بحيرة قديمة قرب عوافي في رأس الخيمة. |

لذلك، لا يمكن الأخذ بهذين التفسيرين لمعرفة ما الذي حدث فعلًا لحضارة أم النار، ولن يحل هذا اللغز إلا إجراء المزيد من الأبحاث لمعرفة الحقيقة. أما الآن، فكل ما نعرفه بشكل مؤكد هو أن تلك الفترة شهدت تغيرات في طريقة عيش السكان والأدوات التي صنعوها.

بحلول منتصف الألفية الثالثة ق.م، بدأ انتاج نصال الرماح المصنوعة من البرونز بكميات كبيرة في مختلف مناطق الإمارات حيث كان السكان يستخدمونها في الصيد والقتال.

الحرف المعدنية

مما لاشك فيه أن الناس قد تابعوا حياتهم في جميع أنحاء الإمارات، واستطاعوا التكيّف مع الظروف الجديدة التي سادت بعد عام 2000 ق.م.

شهدت مناطق العين، وتل أبرق في الإمارات الشمالية حركة استيطان بشرية متواصلة، ربما كان بعض قاطني هذه المناطق من البدو الذين كانوا ينتقلون مع قطعانهم من الأغنام والماعز حسب المواسم.

لم يتوقف سكان الإمارات عن استخدام الموارد الطبيعية من الجبال مثل النحاس والحجر. فقد باتت أشكال جديدة من الأسلحة أكثر شيوعًا بما في ذلك أنواع مميزة من الرماح ذات الذراع لتثبيت الرمح، إضافة إلى صناعة الأوعية والأحواض البرونزية. يشير إنتاج هذه الأسلحة إلى أن التقنيات المتطورة والصناعات الحرفية ظلت مستمرة رغم تغير الحياة آنذاك.

كانت صناعة النصال (رؤوس الرماح) النحاسية أو البرونزية إحدى أهم التطورات التي شهدتها تلك الفترة، وهناك أدلة واضحة على وجودها في كل أنحاء المنطقة. صحيح أن السكان استخدموا الأقواس والأنصال الحجرية فيفترات زمنية سابقة، إلا أن استخدام المعدن مثّل قفزة كبيرة في صناعة الأسلحة. فقد اشتمل التصميم الجديد للنصل على جناحين بسيطين يتم تثبيتهما على جذع القوس بنوع معين من الحبال. وعند إطلاقها من القوس، كانت تلك النصال تقطع مسافة جيدة بدقة فائقة. أما القوس نفسه فقد كان يُصنع في الغالب من منتصف سعف النخيل.

| باتت أشكال جديدة من الأسلحة أكثر شيوعًا بما في ذلك أنواع مميزة من نصال الرماح ذات الذراع الطويل لتثبيت الرمح. |

يُظهر هذا العدد الهائل من الأدوات البرونزية التي تم اكتشافها في جبل بحيص في الشارقة مدى انتشار المصنوعات البرونزية خلال حقبة وادي سوق.

منظر لإحدى مناطق صنع النحاس في وادي الحلو بالشارقة.

لم يقتصر استخدام المعادن في تلك الحقبة على النحاس. فقد تم العثور على قلائد من الذهب والإلكتروم (سبيكة من الذهب والفضة) في المقابر في كل أنحاء الإمارات.

حملت بعض السهام نقوشًا وزخارف غير معتادة. تتكون الزخارف من نقوش أو علامات فردية تتكرر في أنماط مختلفة. لم يتمكن العلماء من تفسير ما تعنيه هذه النقوش، يرجح بعضهم أنها كانت تستخدم كوسم أو كشعار للقبيلة. فيما قال آخرون أنها كانت تستخدم كنوع من طقوس السحر. نحن بحاجة إلى مزيد من الأبحاث بغية الوصول لفهم أفضل لهذه العلامات الغامضة.

لم يقتصر استخدام المعادن في تلك الحقبة على النحاس. فقد تم العثور على قلائد من الذهب والإلكتروم (سبيكة من الذهب والفضة) في المقابر في كل أنحاء الإمارات. بغض النظر عن مكان اكتشافها، لقد كانت متشابهة إلى حد بعيد. فقد اشتملت جميعها على حيوانين اثنين يقفان وظهرهما لبعضهما وقد التفّت ذيولهما بشكل حلزوني، كان الغرض منها نقل رسائل للذين رأوها أو استخدموها كما هي حال العلامات على السهام.

أسلحة الحرب والصيد

اكتشف علماء الآثار العديد من الأسلحة النحاسية والبرونزية التي يرجع تاريخها إلى (2000-1000 ق.م) في دولة الإمارات العربية المتحدة. صحيح أنه يمكن تفسير هذه الزيادة في الأسلحة على أنها دليل على الحرب، إلا أنه ينبغي أن نتذكر أن السكان آنذاك كانوا يستخدمون الأسلحة في الماضي لأغراض عديدة أخرى غير الحرب. مما لا شك فيه أنهم كانوا يستخدمون بعضها لصيد الحيوانات، لاسيما السهام المتعددة التي ظهرت بعد 1600 ق.م. بالإضافة إلى القيمة الرمزية فربما كانت ترمز إلى مهارة من يحملها في الصيد على سبيل المثال.

تقاليد الصناعات الحرفية

عرفت الفترة التي تلت العام 2000 ق.م أشكالا جديدة من الصناعات الفخارية والحجرية. وتشير تلك اللقى إلى انفصال السكان آنذاك عن تقاليد فترة أم النار ورغبتهم في تجربة أشكال وزخارف جديدة. لذلك صنعوا الأكواب المزخرفة بأشكال جديدة. ومن المرجح أنها كانت تستخدم في المناسبات. إضافة لصناعة مجموعة متنوعة من الأواني للاستخدام اليومي أو للتخزين. وقد خلص علماء الآثار من خلال دراسة الطين الذي استخدمه السكان في صناعة هذه الأواني إلى أن صناعتها كانت شائعة في عدد من الأماكن المختلفة الممتدة من رأس الخيمة إلى العين.

كما شهدت تلك الحقبة تزايدًا في إنتاج الأواني من الصخور اللينة، وهي طبقات من الصخور سهلة الاستخراج والتي كانت متوفرة في كل أنحاء الجبال. بدأ نحت هذه الصخور في مرحلة أم النار بالفعل، لكنه أصبح أكثر شيوعًا بعد عام 2000 ق.م. فقد تم العثور على مئات من الأواني المشابهة في القبور التي تعود لتلك الفترة التاريخية. وقد زيُنت هذه الأواني بطريقة مميزة كانت عبارة عن نقاط بسيطة ودوائر وخطوط متقاطعة.

تغيرت طريقة دفن الموتى أيضًا بعد عام 2000 ق.م. فقد تخلى الناس عن القبور الكبيرة، المرتفعة عن الأرض، والتي تعود لفترة أم النار.

مدافن جديدة ومعتقدات جديدة

تغيرت طريقة دفن الموتى أيضًا بعد عام 2000 ق.م. فقد تخلى الناس عن القبور الكبيرة، المرتفعة عن الأرض، والتي تعود لفترة أم النار، وحلّت مكانها مجموعة واسعة من القبور المصنوعة من الحجارة الخام، أو الحجارة المصقولة قليلًا. وفي معظم الحالات، لم تبق تلك القبور فوق سطح الأرض كما في السابق، بل كان يتم دفن جزء منها في التراب.

صورة لوعاء حجري في مدينة العين مختلف الشكل عن الأوعية خلال فترة وادي سوق.

مدفن من فترة وادي سوق في جبل بحيص.

كان تنوع أشكال القبور أمرًا مذهلًا. إذ كان بعضها طويلًا وضيقًا ويتكون من غرفة واحدة أو غرفة من طابقين من أجل دفن الموتى. في حين كانت قبور آخرى تتكوّن من عدة غرف بأشكال متنوعة. أما القاسم المشترك بينها وبين المقابر في فترات تاريخية سابقة هو أنها تحتوي على رفات عشرات الاشخاص الذين دُفنوا على مدى فترة طويلة من الزمن.

وعلى عكس فترة أم النار التي بُنيت فيها المقابر فوق سطح الأرض وغالبًا على المرتفعات، كانت هذه المقابر بالكاد مرئية. ربما أراد سكان فترة أم النار بناء مقابرهم في مواقع ظاهرة للعيان لتنقل أفكارًا مهمة حول مجتمعهم. لكن الناس بعد فترة 2000 ق.م بدأوا يضعون الجزء الأكبر من قبورهم تحت سطح الأرض. ربما لأنهم لم يروا هناك ضرورة للرسالة التي كانت تنقلها المقابر المبنية فوق سطح الأرض كما كان يرى أسلافهم في أم النار. نعتقد أن الناس الذين عاشوا في الإمارات في ذلك الوقت قد عززوا العلاقات فيما بينهم كمجتمع، إلا أننا لا نزال بحاجة لإجراء مزيد من البحوث مستقبلًا حتى نفهم هذه المسألة على نحو أفضل.

الفصل الدّراسي الثّالث

الفصل

7

الفلج ونمو القرى والمدن

منظر للزراعة التقليدية التي تُروى بمياه الأفلاج، وتشبه المزارع التي انتشرت في جميع أرجاء الإمارات قبل 3,000 سنة مضت.

مقدمة

في عام 1000 ق.م تقريبًا، نشأ العديد من القرى والمدن الجديدة في كل أنحاء الإمارات. فقد ارتفع عدد السكان بسرعة، وتم اكتشاف طرق جديدة للحصول على المياه. بالإضافة إلى ظهور تقنيات حرفية متميّزة. على الرغم من تسمية هذه الفترة الزمنية بـ(العصر الحديدي) (1300 - 300 ق.م)، إلا أن معدن الحديد لم يكن شائعًا في الإمارات في تلك الفترة، وحافظت الصناعات البرونزية على مكانتها كصناعة أساسية في تلك الفترة التاريخية.

على الرغم من تسمية هذه الفترة الزمنية بـ(العصر الحديدي) (1300 - 300 ق.م)، إلا أن معدن الحديد لم يكن شائعًا في الإمارات في تلك الفترة، وحافظت الصناعات البرونزية على مكانتها كصناعة أساسية في تلك الفترة التاريخية.

الفلج

أثار نشوء العديد من القرى والمدن في حوالي عام 1000 ق.م حيرة العلماء لسنوات عديدة. فقد طرح بعضهم أن ذلك الظهور كان نتيجة لتأثير التجارة بين منطقة الإمارات ومناطق أخرى في الخليج العربي. لكن الأدلة التي تؤيد هذه النظرية كانت محدودة. في نهاية المطاف، أدرك العلماء أن تقنية جديدة كانت تقف وراء نشوء تلك القرى والمدن. وتمثلت تلك التقنية بـ "الفلج" الذي كان بمثابة المفتاح لفهم ما حدث في الإمارات أثناء (العصر الحديدي).

الفلج تقنية لسحب المياه الجوفية ورفعها إلى السطح من خلال نفق طويل. ويمكن استخدام مياه الأفلاج (جمع فلج) لأغراض الشرب وزراعة المحاصيل.

يشكك الكثير من العلماء في حقيقة نشأة الأفلاج في إيران عام 700 ق.م.

خريطة توضح بعض مواقع (العصر الحديدي) المهمة في دولة الإمارات العربية المتحدة.

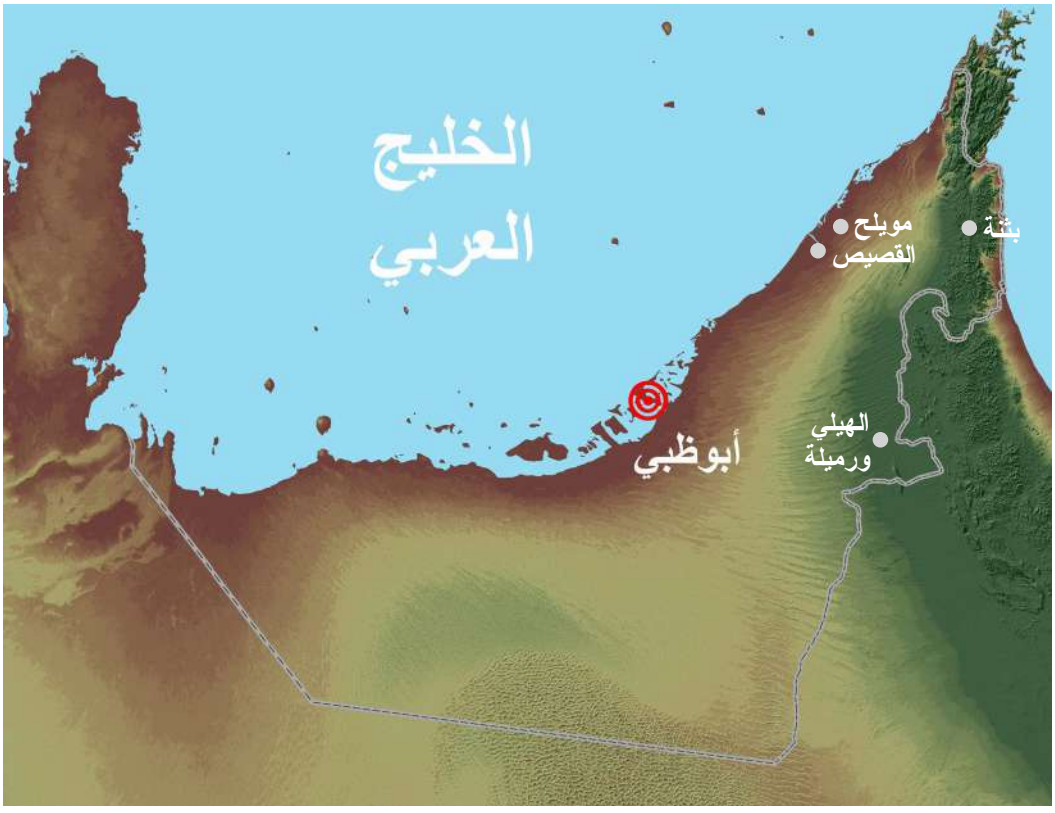

كانت المياه المستخرجة من الأفلاج تجري في أقنية تروي الحقول الزراعية.

كشفت أعمال التنقيب التي أجراها علماء الآثار الإماراتيون في العين عن وجود العديد من الأفلاج التي تعود إلى عام 1000 ق.م. و تعُتبر هذه الأفلاج الأقدم في العالم حتى هذه اللحظة.

ليس من المستغرب أن يكون سكان الإمارات هم أول من طوّر الفلج فقد قطنوا هذه المنطقة القاحلة لآلاف السنين. إضافة لمعرفتهم بمواقع المياه الجوفية وتغير منسوب المياه عند هطول الأمطار. خلال حقبة أم النار (الفصل 5) وحقبة وادي سوق (الفصل 6)، قام السكان بحفر الآبار وتمكنوا من سحب المياه إلى السطح بواسطة أجهزة بسيطة اعتمدت على البكرات.

في حوالي العام 1000 ق.م. شهدت الإمارات إنخفاضًا طفيفًا في معدلات الأمطار، ومن المرجح أن منسوب المياه الجوفية قد انخفض أيضًا، وبالتالي بات الوصول إليه أمرًا شاقًا.

في المدينة الساحلية "مويلح" بإمارة الشارقة، استخدم الناس أنواعًا جديدة من الآبار لسحب المياه العذبة الموجودة فوق المياه المالحة. لكن حتى مصادر المياه هذه تأثرت في نهاية المطاف بانخفاض معدل الأمطار. أما في المناطق الداخلية فقد جفت الينابيع. وهكذا بات السكان، تحت هذه الظروف الصعبة، في حاجة إلى مياه من مصادر أكثر عمقًا تحت الأرض وإلى نظام لنقل المياه إلى سطح الأرض. **وكان نظام الأفلاج هو الحل. وبقي نظام الأفلاج هذا أحد أبرز المظاهر المميّزة للزراعة والحياة القروية في كل أنحاء الإمارات دولة العربية المتحدة.**

ظهور المدن والواحات

كان للفلج تأثير كبير على حياة الإنسان في المنطقة. حوالي عام 1000 ق.م، نشأت قرى وبلدات جديدة في المناطق الداخلية من الإمارات، وخصوصًا منطقة العين وعلى حواف جبال الحجر. وقد اكتشف علماء الآثار الذين عملوا في العين منذ سبعينات القرن الماضي العديد من المباني في مواقع مثل الهيلي. على الأرجح كانت كل تلك المباني جزءًا من بلدة قديمة واحدة. وقد بنيت هذه المنازل من لبنات الطين و**الملاط** (وهي مادة بناء أو عجينة تستخدم لسد الفراغات بين الأحجار) واشتملت على غرف مختلفة للتخزين والسكن والنوم. ومن المرجح أن معظم السكان يستخدمون سطح المبنى والطابق الثاني للتخزين، أو للنوم خلال الطقس شديد الحرارة.

صورة لأحد المباني الذي لا يزال متحفظًا بحالته، ويعود تاريخه لحوالي 3000 عام في الهيلي، مدينة العين، ويمثل هذا المبنى بقايا المدن الواسعة التي بنيت من الطوب الطيني والتي ظهرت مع انتشار الري بالأفلاج.

صورة أعيد تركيبها بالحاسوب لداخل المبنى ذي الأعمدة في قرية مويلح.

اعتمد بناء المنازل في (العصر الحديدي) على معرفة السكان بالمواد التي ينبغي استخدامها في صناعة لبنات الطين وتصميم المباني حتى تستمر لفترات طويلة. وما تزال بعض المباني صامدة عندما اكتشفها علماء الآثار بعد ما يقرب من 3000 سنة لقد تناقل السكان كيفية البناء باستخدام الطوب الطيني من جيل إلى جيل. و تُعتبر المنازل المبنية من الطوب الطيني والتي كانت موجودة في العين والفجيرة ودبي والشارقة قبل 100 سنة نتيجة لهذه المعرفة التاريخية في البناء.

لم تكن بعض المباني في العين بيوتًا بل كانت مصممة لتخدم وظيفة محددة. فمثلًا، أحد هذه المباني واسمه "**هيلي 14**" كان حصنًا كبيرًا ربما كان الناس آنذاك يستخدمونه كمركز تجاري أو كملجأ خلال الحرب.

عشاء نموذجي من (العصر الحديدي)

كان سكان الإمارات في (العصر الحديدي) يتناولون طعامًا مشابهًا في معظمه للطعام الذي كان شائعًا في فترات تاريخية سابقة. فقد كان السكان في (العصر الحديدي) يتغذون من لحوم الأغنام والماعز والأبقار، وكانوا يصطادون الحيوانات البرية مثل الغزلان والمها العربي. وحصلوا على الحليب من الحيوانات التي دجنوها، كما في ذلك الإبل. أما على طول الساحل، فقد استمر السكان في صيد الأسماك وجمع المحار. أدى استخدام الفلج إلى تغيير المحاصيل التي يمكن زراعتها. هناك أدلة على زراعة السمسم، والذي يمكن استخدامه لصنع الزيت أو الطحين. و إعداد حلوى لذيذة عند مزج دقيق السمسم مع دبس التمور كما كان السكان يزرعون عشبة الريحان، مع غيرها من النباتات التي تنمو في البساتين الصغيرة خاصة بعد اختراع الفلج.

صورة جرة كبيرة كانت تُستخدم للتخزين تعود لحوالي 3000 سنة عُثر عليها مكسورة إلى عشرات القطع في قرية مويلح. وبعد سنوات من البحث المضني، تم جمع أجزاء الجرة مع بعضها مجددًا حيث بلغ طولها حوالي 1.5 متر وتتسع لما يقارب 400 غالون من الماء. يعُتبر بناء هذه الجرة شاهدًا على براعة الحرفيين الإماراتيين خلال (العصر الحديدي).

تحتوي المباني الخاصة الأخرى غرفًا مركزية سقفها مرفوع على أعمدة خشبية. ربما كانت هذه المباني مراكز كان الناس يجتمعون فيها للتجارة أو لمناقشة القضايا مع قادة المدينة. وقد وجدت هذه الأبنية في مويلح، والبثنة، والرميلة وهي تشبه في عدة نواحي المجالس التقليدية التي لا تزال تُستخدم حتى اليوم في دولة الإمارات العربية المتحدة.

التقاليد الحرفية

تزامن مع نشوء المدن و القرى الداخلية (في البر، بعيدًا عن السواحل) حوالي عام 1000 ق.م ظهور حرف يدوية وصناعات جديدة.

ويظهر ذلك في الأنواع الجديدة من الأواني المزخرفة بشكل كبير التي عُثر عليها في مناطق مثل العين. وكانت بعض الأواني تُستخدم للأغراض اليومية مثل التخزين وتناول الطعام. أما بعضها الآخر فكان له استخدامات محددة جدًا ربما تكون دينية (انظر فقرة المعتقدات والطقوس) . ففي بعض المناطق، حظيت الأعمال المصنوعة من البرونز أهمية كبيرة، فقد ظهرت مراكز جديدة متخصصة في صناعة مجموعة متنوعة من الأسلحة والأدوات من البرونز. وفي بعض المناطق، كانت مصنوعات البرونز تصنع بعيدًا عن الجبال التي شكّلت مصدرًا للنحاس. مما لا شك فيه أن استخدام الإبل (انظر القسم 8) قد مكّن الناس من نقل السلع عبر البلاد. استمرت صناعة الأواني من الحجارة اللينة لكنها اتخذت أشكالًا وأنماط زخرفة جديدة. وتضمنت بعض الأشكال تقسيمها لعدة أجزاء ربما استخدمت لتخزين الممتلكات الثمينة أو المجوهرات.

سيوف (العصر الحديدي)

منذ حوالي 1300 ق.م، بدأ استخدام السيوف البرونزية القصيرة في منطقة الإمارات. بينما قبل ذلك اقتصرت الأسلحة على النصال، والرماح، والسهام. تميز السيف الجديد بمقبض مميز يسهل حمله. يشير قصر طول نصل السيف إلى أنه كان يُستخدم مثل الخنجر من أجل الهجمات القصيرة من مسافة قريبة. لكن ظهور السيوف في أرض الإمارات قد يوحي بتعرض المنطقة لهجمات آنذاك. ومن الممكن أيضًا أن السكان قد استخدموا تلك السيوف كرمز للرجولة حيث كان ارتداؤها سهلًا، ونادرًا ما استخدموها في قتال فعلي. كما استخدم السكان آنذاك الدروع في المعارك. فقد أظهرت الاكتشافات الأثرية أن سكان الإمارات قد بدأوا بصناعة هذه الدروع من نهاية (العصر الحديدي) حيث كانوا يصنعونها من جلود الحيوانات، و يُعتقد أن هذه الأسلحة كانت موجودة أيضًا في (العصر الحديدي)، لكن أيًا منها لم يصمد في المواقع الأثرية.

المعتقدات والطقوس الدينية

يعود أول دليل تم اكتشافه عن الطقوس والمعتقدات الدينية في دولة الإمارات العربية المتحدة إلى هذه الحقبة الزمنية، غير أننا لا نملك نصوصًا أو الأدلة عنها، لذلك تقتصر القرائن أو الأدلة الوحيدة عنها على ما قدمه علم الآثار.

من تلك القرائن، نذكر رسوم الثعابين التي كانت تزين الأواني الخزفية المكتشفة في عدد من الأماكن، وغالبًا ما كانت تلك الأواني موجودة في المبنى الذي يحتوي على غرفة واحدة وأعمدة طويلة. وقد عُثر على هذه الثعابين البرونزية مع الزخارف في تلك الغرف. كما عثر العلماء على عشرات من هذه الثعابين البرونزية والأواني المزخرفة برسوم الثعابين في قرية القصيص القديمة في دبي.

مبخرة عمرها 3000 سنة عليها رسم أفعى من مدينة مساي.

واصل السكان إنتاج المشغولات البرونزية وأسلحة جديدة طيلة (العصر الحديدي) مثل هذا الفأس من هيلي.

يبدو أن الأفاعي الصحراوية ذات القرون كالتي تظهر في الصورة كانت مستخدمة في الطقوس الدينية خلال (العصر الحديدي).

كما عثر علماء الآثار على الأواني المزخرفة برسوم الأفاعي نفسها في مبانٍ مشابهة في مختلف أرجاء الإمارات. ورغم أن علماء الآثار لم يتوصلوا إلى تحديد الطقس الديني الذي استخدم فيه سكان الإمارات آنذاك هذه الأواني المزخرفة بالثعابين، إلا أنهم يعتقدون أن هؤلاء السكان كانوا يستخدمون تلك الأواني في ممارسة نوع من المعتقدات الدينية في جميع أنحاء المنطقة. وتشير الاكتشافات الأثرية إلى أن سكان جزيرة البحرين قد مارسوا معتقدات دينية مشابهة حيث كانوا يقتلون الثعابين في طقوس معينة، ثم يدفنونها تحت أرضيات الغرف في القصر في قلعة البحرين.

إن تصوير الأفاعي المكتشف في دولة الإمارات العربية المتحدة والذي يعود إلى تلك الفترة التاريخية كان من نوع خاص. إذ تشير نقوش الثعابين ذات الرؤوس الثلاثة والقرون إلى أفعى الصحراء ذات القرون المعروفة في شبه الجزيرة العربية باسم "أفعى أم الجنيب". وهي أفعى شائعة جدًا في دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم ويمكن العثور عليها في معظم المناطق الصحراوية من البلاد. تهاجم هذه الأفعى ضحيتها وتلدغها بسرعة كبيرة في حال تعرضت للازعاج. ورغم أن لدغتها سامة إلا أنها نادرًا ما تكون كافية لقتل إنسان.

وعلى الرغم من انتشار الطقوس المرتبطة بالثعابين في تلك الفترة التاريخية، إلا أننا لا نملك تفسيرا لارتباط هذه الأفعى بالتحديد بالمعتقدات الدينية في الإمارات آنذاك. ويشير انتشار تلك الطقوس إلى أن سكان الإمارات كانت لديهم الأفكار نفسها حول الدين والمعتقدات.

مدافن (العصر الحديدي)

رغم اكتشاف العديد من القرى والمدن التي حيث تعود إلى (العصر الحديدي)، إلا أن مقابر ذلك العصر كانت نادرة. وجد العلماء أدلة على دفن الموتى في قبور فردية في القصيص بدبي. وقد وُضعت أوانٍ مزخرفة، وأوانٍ مصنوعة من الحجارة والأسلحة البرونزية في هذه المقابر كقرابين. تختلف هذه القبور بشكل واضح عن المقابر الجماعية التي تم استخدامها في فترة تاريخية سابقة.

حملت فترة (العصر الحديدي) الكثير من الأفكار الجديدة. فقد أدت التقنيات الجديدة مثل الأفلاج إلى ازدهار الواحات. وساهم تدجين الجمل في زيادة التجارة وفتح الصحراء أمام النشاط البشري. وضع ظهور نظام الفلج وتدجين الإبل الأساس للاقتصاد التقليدي في الإمارات. لاسيما وأن سكان الإمارات كانوا قد أتقنوا فن الإبحار بالفعل في (العصر البرونزي)، أو حتى قبل ذلك. كل هذا أدى إلى تغير في فهم المجتمع للظواهر الخارقة للطبيعة. وأدى إلى ظهور طقوس جديدة تعكس صورة المجتمع وهويته المشتركة.

الفصل

8

الإبل وتحوّل الصحراء

الجمل العربي وحيد السنام

الإبل البرية في دولة الإمارات العربية المتحدة

عاش سكان الإمارات في البلاد طوال 10 آلاف سنة تقريبًا، وكان لديهم عدد كبير من قطعان الإبل. عثر علماء الآثار مؤخرًا على بقايا أحد هذه القطعان الذي يعود إلى 6 آلاف سنة في موقع مليسه في منطقة بينونة غربي أبوظبي. وقد وُجدت الهياكل العظمية لتلك الإبل في منطقة صحراوية كانت عبارة عن بحيرة صغيرة في الماضي. يعتقد علماء الآثار العاملين في الموقع أن هذه الإبل قد تعرضت للصيد. إذ يوفر الجمل الكبير متوسط الحجم لحومًا كافية لعدد كبير من الناس، ولم يقتصر الأمر على الاستفادة من لحوم الإبل إذ يمكن استخدام جلودها في صنع الكثير من الأشياء بما في ذلك الدروع. ويمكن نحت العظام لصنع إبر بسيطة وغيرها من الأدوات.

يمكن لجمل بالغ أن يوفر كمية من اللحم تكفي عددًا كبيرًا من الأشخاص. كما استخدم السكان جلودها لصناعة العديد من المواد بما في ذلك الدروع.

وقد وجد علماء الآثار دليلًا على صيد الإبل البرية في الصفوح في دبي.

تعرضت مئات الإبل للصيد على مدى سنوات في هذا المكان. ربما كانت الإبل البرية تأتي إلى هذا الموقع كل سنة لترعى النباتات المالحة التي كانت تنمو حول حافة البحيرة. كان السكان يترقبون قدوم الإبل ثم يهاجمونها مستخدمين الأسلحة المعدنية والصخور الكبيرة. كان السكان يقطعون لحومها في الموقع، ويأكلون ما يستطيعون، ومن ثم يطهون ما تبقى من اللحوم قبل جلبها إلى المنزل.

من المؤكد أن صيد الإبل البرية كان أمرًا مهمًا جدًا. فلم تقتصر فوائده على تأمين الغذاء، بل ساعد السكان في معرفة المواقع التي تفضلها الإبل للرعي، إضافة لفهم غذاءها وسلوكها. كانت هذه المعرفة في غاية الأهمية فقد ساهمت في نهاية المطاف بتدجين الإبل لاحقًا.

الإبل العربية وحيدة السنام، وذات السنامين، والهجينة

هناك نوعان من الإبل المدجنة اليوم: الجمل العربي وله سنام واحد فقط، والثاني الجمل ذو السنامين. يملك الجمل العربي سنامًا واحدًا وهو ملائم للبيئة العربية بشكل مثالي. في سنامها، تخزّن الإبل الدهون وكذلك كميات كبيرة من المياه تكفيها للبقاء دون مياه لمدة أسابيع. الجمل ذو السنامين أكبر من الجمل العربي، ولديه سنامين اثنين. تستطيع هذه الإبل نقل الأحمال الثقيلة عبر مسافات شاسعة مثل الجمل العربي. لكنها لا تملك قدرة الجمل العربي على تحمل الصحراء الحارة الجافة. على الرغم من أن كلا النوعين يعيشان في بيئات مختلفة تمامًا، فمن الممكن جعلها تتناسل للحصول على نسل هجين. قام الناس بهذا قبل حوالي 2000 سنة في الإمارات وكانت النتيجة هي جملًا قويًّا امتلك القدرة على حمل أوزان ثقيلة واحتمال درجات الحرارة المختلفة.

انقراض الإبل البرية؟

تشير بعض الأدلة إلى أن هذه الإبل البرية أضحت نادرة حوالي عام 1000 ق.م. انقرضت الإبل البرية تمامًا، ونجهل متى حدث ذلك لكننا متأكدون أن الإبل البرية لم تعد تعيش في أي مكان في عالم اليوم.

هناك الآلاف من الإبل التي تعيش في الصحراء ولا يملكها أو يسيطر عليها أي شخص في أجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية وحتى في أستراليا. مع ذلك، فإن هذه الإبل وحشية وليست بريّة (انظر النص برية، وحشّية أو مدّجنة) .

تربية الإبل

لا يزال تاريخ تربية الإبل لغزًا لم يستطع علم الآثار حلّه. **نعرف على وجه اليقين أنه بحلول عام 1000 ق.م، كانت الإبل المدجنة موجودة في أرض الإمارات**، لكننا لا نعرف إن كانت هذه الإبل قد دُجنت في الإمارات، أو نُقلت إليها من أماكن أخرى في شبه الجزيرة العربية. من خلال عمليات التنقيب أنه يوجد في دولة الإمارات العربية المتحدة أقدم دليل على الإبل المدجنة في العالم. ويدعم هذه النظرية دليل جيني حديث أخذ من الإبل في جميع أنحاء العالم (انظر الفقرة بعنوان علم الوراثة والإبل) .

عثر علماء الآثار على هذا الدليل بين الآلاف من عظام الحيوانات التي استخرجوها من المواقع الأثرية في العين، وأم النار، وتل أبرق. وتشير دراسة هذه العظام إلى انخفاض عدد الإبل البرية التي تم صيدها في حوالي عام 1000 ق.م. في الفترة التي تلت ذلك، لاحظ العلماء زيادة في عدد عظام الإبل، لكنها كانت أصغر حجمًا. كما لاحظوا أن حجم العظام قد أصبح أصغر عندما تم تدجين الحيوانات الأخرى. ومن هنا خلص العلماء إلى أن الإبل المدجنة لم تكن موجودة في أرض الإمارات إلا بعد عام 1000 ق.م، أي منذ حوالي 3,000 سنة مضت.

علم الوراثة والإبل

درس العلماء مؤخرًا جينات الإبل العربية المنتشرة حول العالم. وقارنوا النتائج مع الجينات المستخرجة من عظام الإبل البرية التي عثروا عليها في المواقع الأثرية في دولة الإمارات العربية المتحدة. وتشير النتائج التي توصلوا إليها إلى أن الإبل البرية التي كانت تعيش في منطقة الإمارات كانت هي سلالة الإبل الأصلية التي انحدرت منها كل الإبل العربية المدجنة. ورغم عدم تأكيد ذلك بعد، فإن هذا يشير إلى إمكانية أن التدجين الأول للإبل وقع في منطقة الإمارات.

تمثال جمل عمره 3000 سنة من قرية مويلح في الشارقة أعيد ترميمه

كما عثر العلماء على أدلة أخرى على ظهور الإبل المدجنة، وتشمل هذه الأدلة التحف التي تمت زخرفتها بنقوش الإبل الخزفية في جميع أنحاء دولة الإمارات العربية المتحدة. فقد عثروا في بلدة مويلح الأثرية في إمارة الشارقة على أفضل دليل محفوظ جيدًا على نقش الإبل. إذ تظهر صورة جمل يحمل بضائع أو سرجًا على ظهره. فإذا كان النقش سرجًا، فإن ذلك مثالًا بسيطًا جدًا لصندوق موضوع على سنام الحيوان. جرى نقش هذا الجمل بالخطوط السوداء والحمراء التي تمثل نوعًا من الزخارف التي كانت تزين الجمل. على أي حال، يخبرنا هذا النقش الذي قد يكون مجرد لعبة طفل أن الناس في ذلك الوقت قد دجنوا الإبل بالفعل واستخدموها للنقل والترحال.

علماء الآثار

إن علم الآثار لا يعني مجرد الحفر لاستخراج الأشياء القديمة، بل إنه أكثر أهمية من ذلك. اليوم، يدرس علماء الآثار جميع اللقى الأثرية من أجل تحديد كيف عاش الناس في الماضي. يتلقى عالم الآثار اليوم تدريبًا في العديد من المهارات ولكنه أيضًا يعتمد على علماء آخرين مدربين ومختصين مثل علماء آثار الحيوانات الذين يدرسون عظام الحيوانات لمعرفة غذاء الناس وطبيعة بيئتهم في الماضي، وعلماء آثار النبات الذين يدرسون النباتات من أجل فهم أنواع المحاصيل التي زرعها الناس والنباتات البرية التي كانت موجودة. ويدرس غيرهم من المتخصصين هياكل عظمية بشرية لمعرفة طبيعة الحياة اليومية. يقدم لنا مزيج كل هذه المهارات فهمًا أفضل لطبيعة حياة أسلافنا.

بريّة، وحشية، أو مدجنة؟

ناقشنا في الفصل الثالث، أن سكان الإمارات كانوا يربّون الأغنام والماعز والماشية لآلاف السنين وذلك بعد تدجينها.

الحيوانات الوحشّية، وهي الحيوانات المدجنة التي تعود لسبب ما إلى الحياة البريّة، فتصبح غير قادرة على ممارسة حياتها مثلما كانت قبل تدجينها. ويمكن للمرء اليوم أن يرى أمثلة كثيرة عن هذه الحيوانات مثل الحمير الوحشّية في جبال الإمارات.

فوائد الإبل

ما أن بدأ تر بية الإبل في أرض الإمارات، حتى غير حياة سكانها إلى الأبد.

أولاً، كانت الإبل مصدرًا للحليب الذي كانوا بحاجته. قبل تدجين الإبل، كان سكان الإمارات يحصلون على الحليب من الأبقار والأغنام والماعز. في حين قدمت الإبل كميات من الحليب أكبر بكثير مما قدمته الأغنام أو الماعز. وهناك أيضًا بعض الأدلة على أن حليب الإبل فيه فوائد غذائية أكثر من حليب البقر.

ثانيًا، تستطيع الإبل أن تعيش وتكبر في الصحراء. فمنذ آلاف السنين، تركزت حياة الناس في الواحات الداخلية مثل العين، وفي الجبال، أو على الساحل، كما في جزيرة أم النار. بعد أن أصبح المناخ أكثر جفافًا حوالي عام 4000 ق.م، ازدادت صعوبة العيش في الصحراء بالنسبة لسكان الإمارات، لكن بعد تدجين الإبل أصبحوا قادرين على العيش في الصحراء واستغلال مواردها. وبات رعي الإبل (البحث عن غذاء الإبل في الصحراء) ممكنًا الآن. كما مكنت الإبل الناس من الترحال ونقل البضائع في جميع أنحاء البلاد بشكل لم يكن ممكنًا في السابق. وهذا ما أدى إلى نشوء اقتصاد أكثر ترابطًا بين فروعه، وأدى أيضًا إلى توسّع المدن والقرى في الصحراء.

وهكذا، استنتج العلماء أن الإبل المدجنة لم تكن موجودة في منطقة الإمارات إلا بعد عام 1000 ق.م أو منذ حوالي 3,000 سنة مضت.

آثار قرية مويلح بالشارقة التي بُنيت سنة 1000 ق.م تقريبًا عندما بدأ السكان يتاجرون بالبضائع عبر الصحراء.

مويلح

من المواقع التي شملتها أعمال التنقيب قرية **مويلح** التي تقع في الشارقة بالقرب من المطار الحالي. **وكشفت أعمال التنقيب عن مستوطنة كبيرة يرجع تاريخها إلى حوالي 1000-750 ق.م**. وقد عُثر على نقش جمل كامل (انظرالصفحة 62) في أحد مباني هذه المدينة.

تطورت مويلح بسرعة نتيجة لتطور التجارة بين المناطق الساحلية والداخلية في الصحراء. في البداية، كان الناس يعيشون في مخّيمات بُنيت على الأرجح من العريش. بعد ذلك بفترة، شيّدوا مبانٍ من لبنات الطين. بعد عام 900 ق.م، حفر سكان قرية مويلح خندقًا واسعًا وبنوا سورًا حول بلدتهم للحماية ربما كانوا يخافون من تعرّض بلدتهم لهجوم من الغرباء. تبين لاحقًا أن هذه المخاوف كانت في محلّها. إذ تعرضت مويلح لهجوم بعد حوالي 100 عام، وأُحرقت بالكامل. على الرغم من تمكن معظم سكانها من الهرب كما يبدو، فإن بعضهم قد مات بسبب انهيار أسوار القرية.

في الأسفل:

عمليًا، ظهرت مدن كبيرة مثل تدمر في سوريا بعد أن أصبحت التجارة البرية عبر مسافات بعيدة ممكنة في أجزاء كبيرة من شبه الجزيرة العربية والشرق الأوسط.

ولا يزال سبب هذا الهجوم لغزًا. وربما كان غزوًا من قبل جيش أجنبي أو ببساطة نتيجة صراع بين بلدتين محليتين. مع هذا، فإنه يبدو جليًا أن بلدة مويلح كانت ثرية جدًا حين تم تدميرها.

حفظ تدمير مويلح العديد من القطع الأثرية المذهلة ليكتشفها علماء الآثار بعد آلاف السنين. وتشمل هذه المكتشفات المئات من الأواني الخزفية والأسلحة البرونزية والأدوات، وحتى الأشياء المصنوعة من الحديد. والآلاف من قطع التمور الكاملة المحترقة التي كانت قد قُطفت للتو عندما وقع الهجوم.

من بين المكتشفات التي عثر العلماء عليها في مويلح بعض القطع المذهلة وغير المألوفة مثل مبخرة كبيرة مع نقش ثور عليها. كانت المبخرة توضع على الأرض، وحين تحترق أعواد البخور فيها، ينساب الدخان من خلال الثقوب الموجودة على جدارها ويدخل إلى الغرف. وقد عُثر على مباخر أخرى مزخرفة بنقوش الإبل ما يبيّن مدى أهمية هذا الحيوان لسكان مويلح.

أواني مكتملة ومكسورة على أرضية غرفة يعود تاريخها لحوالي 3000 سنة في مويلح.

أصبح استخدام البخور شائعًا بشكل متزايد خلال (العصر الحديدي)، ولا يزال هذا التقليد جزءًا مهمًا من ثقافة دولة الإمارات المحلية حتى يومنا هذا.

صورة لمبخرة عُثر عليها في مويلح، وتعكس اهتمامًا جديدًا للسكان بالتقاليد الحرفية، وتوفر موارد جديدة تداولها السكان مثل البخور.

إن مويلح ليست إلا مثالًا واحدًا عن العديد من القرى والمدن الصحراوية التي نشأت بعد تدجين الإبل. وقد تم اكتشاف بلدات أخرى في وسط الصحراء في جميع أنحاء دولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان. مارس السكان الذين كانوا يعيشون في هذه الأماكن تجارة البضائع عبر دولة الإمارات العربية المتحدة ومع بقية شبه الجزيرة العربية. في هذا الوقت بدأ سكان الإمارات تجارتهم مع مناطق اليمن و عُمان. وشملت البضائع اللبان والمواد العطرية الأخرى. في نهاية المطاف اتسعت هذه التجارة التي تنتقل عن طريق الإبل البرية في جميع أنحاء الشرق الأوسط، ونشأت مدن مثل مدينة تدمر في سوريا على طول طرق التجارة الصحراوية. هذا يمثل بداية لمرحلة جديدة من تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة، كما سنرى في القسم التالي.

نهاية (العصر الحديدي)

في سنة 600 ق.م تقريبًا، بدأ عدد المدن والقرى ينخفض في جميع أنحاء الإمارات، ولسنا متأكدين من السبب وراء هذا الانخفاض. قد يكون أحد هذه الأسباب إسراف السكان آنذاك في استخدام نظام الأفلاج في الواحات الداخلية مما أدى إلى تناقص المياه، فصار الحصول عليها أكثر صعوبة. بغض النظر عن السبب، ظل عدد قليل من المدن والقرى في واحة العين وعلى الساحل مأهولة بالسكان حتى 600 ق.م. لكن السكان هجروا معظم تلك القرى بحلول عام 300 ق.م.

على الرغم من أن (العصر الحديدي) بلغ نهايته بحلول 300 ق.م، إلا أن تأثير ما حدث خلال تلك الفترة لا يزال موجودًا بطريقة ما حتى اليوم.

يُعدُّ استخدام الإبل والأفلاج من أهم السمات المميزة للعصر الحديدي. ذلك أنها وضعت الأساس وكانت البداية لآلاف السنين من النمو والاستقرار البشري في جميع أنحاء البلاد.

الفصل

9

قيام الإمبراطوريات

الإمبراطورية الآشورية والخليج العربي

أتاح نظام الفلج وتدجين الإبل الفرصة لنمو مجتمع مزدهر في الإمارات وأجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية. لذلك لم يكن مستغربًا أن تتجه أنظار الإمبراطوريات الكبرى في ذلك الوقت نحو الخليج العربي. وكان أولها الإمبراطورية الآشورية التي ظلت تحكم الشرق الأوسط حتى عام 612 ق.م من عاصمتها في شمال (بلاد ما بين النهرين). عمل الملوك الآشوريون على توسيع إمبراطوريتهم باتجاه سوريا وفلسطين وتركيا وإيران. وقبيل عام 700 ق.م، تحول اهتمامهم نحو الخليج العربي. تشير الأدلة التاريخية إلى أن الملك الآشوري سرجون قد تلقى هدايا من ملك دلمون (البحرين حاليًا)، مما يدل على وجود علاقات من نوع ما بين هاتين المنطقتين.

عمل الملوك الآشوريون على توسيع إمبراطوريتهم باتجاه سوريا وفلسطين وتركيا وإيران. وقبيل عام 700 ق.م، تحول اهتمامهم نحو الخليج العربي.

في 689 ق.م، شن ملك آشوري آخر يُدعى سنحاريب هجومًا على بابل في جنوب بلاد مابين النهرين أسفر عن حرب طويلة وشاقة دفعت سنحاريب في نهاية المطاف إلى الانتقام من شعب بابل الذين قاوموا هجومه. وقد عثر علماء الآثار على نص منقوش يتحدث عن تلك الحرب، جاء في النص: "بعد أن دمرت بابل، وحطمت آلهتها، وضربت أعناق سكانها بحد السيف، ولو كان نقل أرضها ممكنًا، لكنت نقلتها إلى نهر الفرات ثم إلى البحر (الخليج العربي) . بعد ذلك كله، وصل غبار هذه المعركة إلى دلمون. فقد رأى أهل دلمون ذلك، فدب الرعب من الإمبراطورية الآشورية في قلوبهم. فأرسلوا الهدايا باسم شعبهم ومع هذه الهدايا أرسلوا العمال من أراضيهم يحملون الأسافين والأوتاد البرونزية، والأدوات التي يستخدمونها للعمل في البلاد بغية المساعدة في هدم بابل."

تماثيل لوحوش أسطورية كانت تحيط بمدخل قصر الملك سرجون الثاني في (بلاد ما بين النهرين).

ربما كان هناك قدر لا بأس به من المبالغة في هذا النص. لكنه يخبرنا أن الملوك الآشوريين كانوا مهتمين بالخليج العربي. كما يخبرنا عن تفاصيل اقتصاد الخليج العربي. مثلًا، تضمّن النص إشارة إلى أدوات برونزية في الهدايا التي بعث بها ملك (دلمون) . لم يكن لدى دلمون النحاس لتصنع منه البرونز. مما يدل أنها كانت تستورد النحاس من الإمارات و عُمان. وفي الواقع، فقد تمت صناعة العديد من المعاول البرونزية والأدوات الزراعية في الإمارات و عُمان. وعلى الأرجح تم تصدير بعض هذه الأدوات إلى البحرين.

تصور النصوص الآشورية ملامح المنطقة مرة أخرى تقريبًا في فترة 640 ق.م. يذكر نقش الملك الآشوري آشوربانيبال قائدًا محليًّا عاش في قرية (إسكي) في منطقة (قادة). نحن شبه متأكدون أن (إسكي) هي مدينة (إزكي) الحديثة في عُمان اليوم. أما (قادة) فهو أحد الأسماء القديمة التي كانت تُطلق في الماضي على منطقة الإمارات و عُمان بأكملها. رغم أن النص يذكر كلمة "قائد" بصيغة المفرد، إلا أنه من المحتمل أنه كان واحدًا من العديد من القادة الذين عاشوا في مختلف المدن والقرى التي اعتمدت على الفلج وكانت موجودة في ذلك الوقت. مع ذلك، يبدو أن هذا الزعيم بالتحديد كان ذو شأن كبير بما فيه الكفاية ليجذب انتباه أقوى ملوك الإمبراطورية الآشورية في ذلك الوقت.

تمثل هذه القطع النحاسية الصغيرة حرفة صب الأسلحة في مويلح، الشارقة وتدل على مدى انتشار انتاج النحاس في (العصر الحديدي). وكان السكان يبيعون بعض البضائع النحاسية إلى الإمبراطورية الآشورية وأماكن أخرى.

لا تعني الإشارات الموجزة الواردة في النصوص التاريخية أن الإمبراطورية الآشورية قد بسطت سيطرتها على أي جزء من الإمارات أو منطقة الخليج العربي في ذلك الوقت. إلا أنها تشير إلى أن سكان هذه المناطق كانوا يعملون في التجارة عبر الخليج العربي. وكان للنحاس المستورد من الإمارات أهمية خاصة. ظل النحاس سلعة حيوية على الرغم من أن استخدام الحديد كان يزداد انتشارًا في جميع أنحاء الشرق الأوسط ، وكان من المهم للملوك الآشوريين أن يتمكنوا من الوصول إلى هذه المعادن.

الإمبراطورية الفارسية

تمكّن أعداء الإمبراطورية الآشورية من دخول عاصمتها نينوى وتدميرها فسقطت الإمبراطورية عام 612 ق.م. وهذا ما سمح بظهور بابل كقوة مسيطرة، لكن سيطرتها استمرت لفترة قصيرة. في عام 539 ق.م، وقعت بابل تحت سيطرة ملك فارسي أو أخميني يدعى الملك قورش الذي أسس الإمبراطورية الفارسية التي استطاعت السيطرة على المناطق الممتدة من باكستان إلى ليبيا عندما كانت في ذروة قوتها.

تأسست الإمبراطورية الفارسية في بلاد فارس التي تُسمى إيران اليوم. حيث بنى ملوك الفرس القصور الكبيرة والحدائق. ونحتوا نقوشًا مطولة حول فتوحاتهم وقوة إمبراطوريتهم. أطلق ملوك الفرس اسم "ماكا" على منطقة الإمارات واسم "ماكيون" على سكانها. زعم أثنان من هؤلاء الملوك، وهما داريوس وأحشويروش سيطرتهما عليها من الفترة 520 ق.م إلى 480 ق.م. ويدل على أن صناعة الفخار والأدوات المعدنية، والأواني الحجرية التي التي استخدمها سكان الإمارات في ذلك الوقت كانت نفسها التي استخدمها أسلافهم قبل ذلك بعدة قرون. بالمقابل، توجد بعض الأدلة على زيادة التبادل التجاري بين أجزاء من إيران والإمارات في ذاك الوقت، لكن هذا النشاط التجاري كان من السمات المميّزة للحياة في منطقة الخليج العربي. لذلك يمكن لنا القول أن مزاعم الفرس بأنهم بسطوا سيطرتهم على أرض الإمارات في تلك الفترة كانت في جزء منها من قبيل الدعاية، وهي أسلوب مهم كانت تستخدمه الإمبراطوريات القديمة حيث كانت مثل تلك المزاعم بالسيطرة توضح سلطة الملك داخل الإمبراطورية وفي قصره. في الواقع،

ورغم وجود الإمبراطورية الفارسية، فقد واصل الناس الذين كانوا يعيشون على أرض الإمارات في ذلك الوقت حياتهم مثلما كانت من قبل، وربما أنهم كانوا أحيانًا يقدمون بعض الهدايا الصغيرة للدول المجاورة.

الفرس والفلج

لم يترك سقوط الإمبراطورية الفارسية في عام 330 ق.م سوى آثار بسيطة على الإمارات. ومع ذلك، يمكن لنا القول أن احتكاك الإمبراطورية الفارسية مع الإمارات قد أدى إلى تطورات داخل الإمبراطورية نفسها. فغالبًا ما يزعم الكتّاب القدماء، وحتى بعض الباحثين في العصر الحديث، أن الفرس هم أول من أوجد الفلج في فارس، لكن هذه المزاعم غير صحيحة بتاتًا. إذ أن الأدلة الأثرية المكتشفة في دولة الإمارات العربية المتحدة تشير إلى خلاف تلك المزاعم. لقد رأينا في الفصل 7 أن هناك أدلة مهمة تثبت أن الفلج قد نشأ أولًا في الإمارات في عام 1000 ق.م تقريبًا، وهذا أقدم بكثير من أي من الأفلاج المكتشفة في فارس. ومن الممكن أن الفرس قد تعلموا نظام الري عبر الأفلاج من أولئك السكان الذين كانوا يعيشون على الجانب العربي من الخليج العربي خلال فترة الإمبراطورية الفارسية أو ربما حتى قبلها.

صورة الملك الفارسي داريوس
وهو يتلقى ولاء الطاعة من رعاياه

لغات فترة ما قبل الإسلام 1: الآرامية

تنتمي اللغة الآرامية إلى مجموعة واسعة من اللغات شاع استخدامها في سوريا وفلسطين وأجزاء من العراق في الألفية الثانية والأولى قبل الميلاد. في بداية الألفية الأولى ق.م، بدأ تدوين الآرامية في النصوص المشتقة من الأبجدية الفينيقية. وبحلول القرن السابع ق.م انتشرت الآرامية على نطاق واسع بحيث أصبحت ما يسميه علماء اللغة "لغة مشتركة" أي لغة يمكن فهمها في مختلف المناطق (كما الانجليزية اليوم) . كانت الآرامية اللغة الرسمية في الامبراطورية البابلية الجديدة (625-539 ق.م) أي اللغة المعتمدة رسميًا في الإدارة والتدوين. في ظل الامبراطورية الفارسية (538-332 ق.م) التي تلت ذلك، احتفظت اللغة الآرامية بمكانتها بل وتم استخدامها على نطاق أوسع في جميع أنحاء الشرق الأوسط القديم ومصر. بعد سقوط الإمبراطورية الفارسية، حلّت اللغة اليونانية مكان الآرامية كلغة رسمية للحكومة، لكن الآرامية واصلت انتشارها بين الناس في جميع أنحاء الشرق الأوسط وحتى في وسط وجنوب آسيا. وبحلول أواخر القرن الثالث ق.م، أُستخدمت الآرامية في الإمارات على الأرجح بسبب انتشارها أثناء وبعد الإمبراطورية الفارسية. وليس من المستبعد أنها كانت لغة محكية ولكن ليست مكتوبة في (العصر الحديدي) السابق لتلك الفترة. في العصر الحديث، يتحدث سكان معظم أنحاء الشرق الأوسط اللغة العربية، كما لا يزال سكان بعض القرى في سوريا وشمال العراق وجنوبه يتحدثون بعض أشكال اللغة الآرامية.

لغات فترة ما قبل الإسلام 2: العربية الجنوبية القديمة

اخترعت الأبجدية الأصلية في وقت ما في أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد. وسرعان ما انقسمت إلى عائلتين: الأولى هي الأبجدية السامية الشمالية الغربية التي تم منها اشتقاق كل الأبجديات المستخدمة اليوم باستثناء أبجدية وحيدة. والثانية هي السامية الجنوبية التي كانت تُستخدم في العصور القديمة في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية والأردن وجنوب سوريا. ولم يتبق من هذه العائلة سوى نظام الكتابة المستخدم حاليًا في إثيوبيا. كما كان سكان الواحات والبدو في شمال ووسط شبه الجزيرة العربية آنذاك يستخدمون العديد من أنظمة الكتابة (الخطوط) المشتقة من هذه الأبجدية. أما في جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة (اليمن الحديثة وظفار) طور السكان نظام كتابة يُدعى (خط المسند) لكتابة النصوص، ونظام كتابة آخر يُدعى (خط الزبور) لكتابة الوثائق (الرسائل والوثائق القانونية، العقود، وما إلى ذلك) . وقد تم تدوين أعداد كبيرة من هذه الوثائق على سيقان النخيل وأوراق الشجر والعصي الأخرى. كانت هناك أربع ممالك كبرى في جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة وهي (سبأ)، (قتبان)، (معين)، و) حضرموت) - وقد استخدمت كل هذه الممالك خط مسند والزبور. تتوفر لدينا أمثلة عن تلك الخطوط يعود أقدمها إلى عام 902 ق.م، بينما يعود أحدثها إلى عام 558 ميلادي. تشير الدلائل إلى أن نظام الكتابة المسند كان مستخدمًا في مليحة في الإمارات في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثاني قبل الميلاد، حيث كان يُستخدم أيضًا لكتابة لغات أخرى. وهذا ما يدل على زيادة اتصال سكان الإمارات مع منطقة اليمن خلال تلك الفترة.

بنى الملك الفارسي أحشويروش "بوابة جميع الأمم" في بيرسيبوليس، أو (تخت جمشيد). تُظهر الوحوش الأسطورية في مقدمة البوابة تأثير الآشوريين الأوائل (انظر الصورة في الصفحة 89) على الفنون وفن العمارة الفارسي.

الإسكندر الأكبر

قاد الإسكندر الأكبر فتوحات اشتهرت كثيرًا عبر التاريخ. إذ قضى على الإمبراطورية الفارسية في عام 330 ق.م. تصف النصوص القديمة تدميره لعاصمة الفرس **تخت جمشيد** (برسيبوليس) التي اشتهرت بثرواتها. وغالبًا ما ينسب المؤرخون انتصارات الإسكندر إلى عبقريته في الخطط العسكرية وشجاعته كقائد عسكري. ومع ذلك، لا بد أن نذكر أن الضعف كان قد بدأ يصيب العديد من جوانب الإمبراطورية الفارسية مما جعل دحرها على يد الإسكندر سهلًا.

كان الإسكندر الأكبر يطمع بالسيطرة على الخليج العربي، لذلك أرسل قائد أسطوله نيارخوس بمهمة للإبحار من نهر السند إلى شوشان في جنوب غرب إيران. وقد تحدث المؤرخ القديم أريان عن الهدف من تلك المهمة البحرية. فكتب ما يلي: "إن إرسال نيارخوس للإبحار في المحيط لم يكن مجرد رحلة بحرية، ولكن بهدف استطلاع ساحل ذلك المحيط بكل ما فيه من مراسي السفن، والسكان، وإمدادات المياه، وعادات وتقاليد سكانه، وأي أجزاء منه تصلح لزراعة المحاصيل وأيها غير صالح للزراعة.

| وفقًا للمؤرخ أريان كان هدف الإسكندر الأكبر استعمار المناطق الساحلية للخليج العربي ومن ضمنها الإمارات. |

بعبارة أخرى، كانت هذه مهمة استطلاعية. وتشير بعض الأدلة الواردة في النصوص القديمة إلى أنه بعد عودة نيارخوس من مهمته البحرية، بدأ الإسكندر الأكبر ببناء أسطول أكبر. وكان هدفه، وفقًا لأريان، هو استعمار المناطق الساحلية للخليج العربي ومن ضمنها الإمارات. لهذا الغرض، فقد أرسل ثلاث حملات من بابل إلى جنوب الخليج العربي لجمع مزيد من المعلومات. وكان قائد الحملة الثانية بحار يُدعى **أندروستينس** الذي كان قد رافق نيارخوس في رحلته الاستكشافية الأولى.

أصبحت أثينا مدينة قوية في القرن الخامس قبل الحقبة المشتركة، ويعود السبب في ذلك جزئيًا إلى سيطرتها على التجارة في البحر الأبيض المتوسط. بالمقابل، كان البحارة من الإمارات يزاولون التجارة لآلاف السنين عبر المحيط الهندي، وأسسوا مجتمعًا مدنيًا وغنيًا. من المرجح أن الرغبة بالسيطرة على هذه التجارة هي التي دفعت الإسكندر الكبير للتفكير بغزو شرق شبه الجزيرة العربية.

سجل أندروستينس كل ما جمعه من معلومات في كتاب اسماه (الطواف - تقرير عن أهم المرافئ والمدن الساحلية والمسافات بينها) وقد كان هذا الكتاب معروفًا بالنسبة للكتّاب القدماء، لكنه اندثر. وبناءً على ما نعرفه من ذلك الكتاب، يمكننا أن نرجح أن أندروستينس قد أبحر على طول الخليج العربي وحتى مضيق هرمز. من المرجح أن هؤلاء البحارة الإغريق كانوا يتوقفون أثناء رحلاتهم البحرية في الخليج العربي عند سواحل الإمارات، ربما في أبوظبي أو الخور في دبي، وكانوا بعدها يخبرون الإسكندر عن مشاهداتهم واحتكاكهم بالسكان المحليين رغم أنه لن يتسن لنا أن نعرف ذلك أبدًا على وجه اليقين.

من هو أريان؟

نعرف الكثير عن مآثر الإسكندر الأكبر بسبب كاتب قديم من أصل يوناني يُدعى (أريان) . ولد في إحدى مقاطعات الإمبراطورية الرومانية هي اليوم تركيا قرابة عام 86 م. وكتب عن فتوحات الإسكندر الأكبر في بلاد فارس. يجب أن نتذكر أن أريان كان يدون التاريخ ويصف الأحداث بعد قرون عديدة من وقوعها. لكننا ندرك أن لديه العديد من الأعمال القديمة المهمة التي يمكننا الاستناد إليها وقد اندثر الكثير منها. كتب أحد هذه المؤلفات (بطليموس) وهو أحد جنرالات الإسكندر، ويرجح أنه تضمن تفاصيل دقيقة عن الأحداث التي غيرت وجه الشرق الأوسط.

الإسكندر الأكبر في معركة إسوس

من هو الإسكندر الأكبر؟

ورث الإسكندر المقدوني الثالث، المعروف أيضًا باسم الإسكندر الأكبر، عرش والده فيليب الثاني ليصبح ملكًا لمقدونيا عام 336 ق.م. وتولى ابن العشرين عامًا قيادة واحد من أكثر الجيوش خبرة قتالية في زمانه. في 334 ق.م غزا الإسكندر تركيا التي كانت تقع على أقصى الحدود الغربية للامبراطورية الفارسية. ألحق جيش الاسكندر الهزيمة بجيوش داريوس الثالث حاكم الإمبراطورية الفارسية في معارك في منطقة إيسوس في جنوب تركيا، ومعركة غوغميلا في شمال العراق. بعد هذه المعركة الأخيرة، اتجه الإسكندر نحو الجنوب واحتل بابل التي كانت المركز القديم للسلطة في (بلاد ما بين النهرين). بحلول عام 330 ق.م، استولى على العاصمة الفارسية تخت جمشيد (برسيبوليس) . ورغم أن قوة الإمبراطورية الفارسية كانت فعليًا في نهايتها، استكمل الإسكندر مسيرته نحو الشرق عبر إيران وإلى باكستان. شكل نهر السند الحدود الشرقية لغزواته، فعند هذه النقطة، رفض جنوده عبور النهر لمواصلة القتال بعد أن أصابهم الإرهاق من سنوات من القتال، وسيطر عليهم الخوف مما قد يكون موجودًا على الضفة الشرقية للنهر. فاستدار مع جيشه وعادوا صوب بابل. في بابل توفي الاسكندر في يونيو 323 ق.م، وربما مات مسمومًا من قبل أحد جنرالاته أو مستسلمًا للمرض الذي أصيب به خلال حملاته العسكرية.

وبنًاء على تلك المعلومات التي جمعها الإسكندر من الحملات الاستكشافية ومن البحارة الإغريق، خطط الإسكندر لغزو شبه الجزيرة العربية ربما طمعًا بمواردها بنًاء على ما نعرفه عن اهتمامه الكبير في البخور والمواد العطرية الأخرى التي كانت متوفرة في عُمان واليمن.

في يونيو من عام 323 ق.م، توفي الإسكندر قبل أن يُقدم على أي إجراء بهذا الشأن مما أنجى شبه الجزيرة العربية من الغزو، أما الامبراطورية التي بناها الإسكندر فقد تقاسمها جنرالاته وخلفاؤه من بعده.

في القرون اللاحقة، ازداد نفوذ القوى القائمة آنذاك في منطقة البحر المتوسط مثل الإغريق ومن ثم الرومان. ومارست المدن الساحلية مثل دبا والدور نشاطًا تجاريًا عبر مسافات طويلة في المحيط الهندي، وكانت تصلها البضائع من رودس وأثينا وروما. في الوقت ذاته، شهدت ثقافة الإمارات تغييرات هائلة عكست التطورات التي كانت تحصل في شبة الجزيرة العربية. سنناقش هذه التطورات بالتفصيل في الفصول التالية.

الخاتمة

اليوم، وبعد هذه المسيرة من البناء والجهود المخلصة، تقف دولة الإمارات العربية المتحدة بين مصافِ الدول المتقدمة في العالم حيث تفاخر بنجاحاتها الاقتصادية وتطورها الثقافي وانفتاحها على العالم وعلاقاتها الطيبة مع جميع شعوب العالم. كما تواصل دولة الإمارات تحقيق الإنجازات التي كان آخرها وليس أخيرها متحف اللوفر أبوظبي ومعرض إكسبو 2020م في دبي اللذان يشكلان نافذة واسعة لا يتعرف العالم من خلالها على حضارة الإمارات فحسب، وإنما على تاريخ هذه الشعوب، والأهم من ذلك أنه على أرض الإمارات تلتقي البشرية جمعاء في بوتقة الإنسانية.

لم يكن لدولة الإمارات العربية المتحدة أن تحقق كل هذه المكانة والنجاحات لولا القيادة الحكيمة التي تسنت لها وتجسدت في شخصية مؤسسها ورئيسها الأول ووالد الأمة، المغفور له -بإذن الله- الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. ومثل جميع الزعماء التاريخيين، أدرك الشيخ زايد أن صناعة المستقبل المشرق تبدأ من فهم تاريخ وطنه وشعبه، وهذا ماانطلق منه وشجّع الآخرين عليه إدراكًا منه أن أمة بلا تاريخ لا حاضر ولا مستقبل لها. وبفضل اهتمام الشيخ زايد -رحمه الله- بتاريخ الإمارات، صرنا نعرف أن دولة الإمارات لها جذور تاريخية تمتد لأكثر من 125,000 سنة، وأن المجتمع الإماراتي قد راكم خلال هذه القرون الطويلة عوامل عديدة شكلت الأساس القوي للنهضة الحديثة التي ينعم بها في الوقت الحاضر.

ومن أولى هذه العوامل تشكّل المجتمع، فمنذ بدء نشوء المستوطنات البشرية، أدرك سكان تلك المستوطنات أهمية تضافر جهودهم حتى يتمكنوا من البقاء على قيد الحياة والازدهار في أرض متناثرة الموارد. وقد لمسنا ذلك الإحساس بالتكاتف على وجه الخصوص في المدافن التي تعود إلى (العصر الحجري الحديث) التي تم العثور عليها في عدة مناطق من الإمارات. فمنذ أكثر من 6,000 سنة، كان البدو الرعاة يدفنون موتاهم في مدفن واحد في جبل بحيص، وكانوا يعودون كل سنة إلى المدفن نفسه لدفن موتاهم وتذكّر أسلافهم، كما كانوا يكرمون موتاهم، سواءً أكانوا رجالًا أم نساءً، أغنياءً أو فقراءً، بتقديم حبات الخرز والهدايا إليهم.

يشكل الإبداع ثاني تلك العوامل. منذ العصور السحيقة، لم يعدم سكان الإمارات ابتكار الوسائل التي تمكنهم من استغلال الموارد الطبيعية بطريقة كفوءة ومثمرة.

وبعد ذلك بآلاف السنوات، بنى سكان الإمارات في جزيرة أم النار وفي واحة العين مدافن ضخمة دفنوا فيها جميع الموتى من مجتمعاتهم، وكانت تلك المدافن تضم رفاة أشخاص أغنياء يلبسون حلي ذهبية جنبًا إلى جنب مع الفقراء من المزارعين والبحّارة. وبعد ذلك بفترة طويلة، وتحديدًا عندما حاول البرتغاليون السيطرة على بعض مدن الإمارات، هب جميع السكان دفاعًا عن أرضهم وأعادوا سيادتهم عليها. إن ما يجمع بين تلك التطورات التاريخية هو إحساس سكان الإمارات على مر تلك العصور أن لديهم مجموعة من القيم والمعتقدات المشتركة التي تشكل هويتهم.

يشكل الإبداع ثاني تلك العوامل. منذ العصور السحيقة، لم يعدم سكان الإمارات ابتكار الوسائل التي تمكنهم من استغلال الموارد الطبيعية بطريقة كفوءة ومثمرة. فإذا ما بدأنا من (العصر الحجري الحديث) قبل 8,000 سنة مضت، طور سكان الإمارات تقنيات بحرية تسمح لهم بممارسة النشاط التجاري مع مناطق بعيدة والاستفادة من خيرات البحار من بينها اللؤلؤ الذي كان يحظى بقيمة عالية تفوق غيره من الموارد. وفي هذا المجال، قدمت الإمارات لنا الدليل التاريخي الأول على استخرج اللآلئ من قاع البحار. وظل صيد اللؤلؤ الدعامة الأساسية لاقتصاد المدن الساحلية طيلة آلاف السنين. أما في المناطق الداخلية، فقد دفع شح الأمطار سكان تلك المناطق إلى ابتكار تقنية الأفلاج لري محاصيلهم. وبفضل هذه التقنية المبتكرة، استطاع السكان استخراج المياه المخزّنة عميقًا في باطن الأرض إلى السطح الأمر الذي ساهم في نمو الواحات التي لا تزال تلعب دورًا مهمًا في اقتصاد الإمارات إلى يومنا هذا. من ناحية ثانية، تشير الدراسات الحديثة إلى أن سكان الإمارات القدماء كانوا من أوائل الشعوب التي استخدمت الإبل المدجنة. كما يوجد دليل دامغ على أنه تم تدجين الإبل البرية لأول مرة في منطقة الإمارات. في الخلاصة، استفاد الإنسان الإماراتي من كل هذه الابتكارات بصورة جيدة لتحقيق المنفعة لجميع السكان الأمر الذي ساهم في تحقيق النمو والازدهار للمجتمع.

يتمثل العامل الثالث في استخدام الإنسان الإماراتي لتلك الابتكارات في إنتاج البضائع التي تاجر بها في مختلف المناطق المجاورة التي وصل إليها بالبر أو البحر. خلال (العصر البرونزي)، كانت الإمارات، التي كانت تعُرف آنذاك باسم "مجان"، مصدرًا للنحاس واستخدمته في أنشطتها التجارية مع المناطق المجاورة. فقد استطاع عمال المناجم المهرة آنذاك من استخراج فلزات النحاس بعناية، ومن ثم طحنها وصهرها وتحويلها إلى سبائك كانت "سفن مجان" تنقلها إلى (بلاد ما بين النهرين) وغيرها من المناطق. وفي فترة تاريخية لاحقة، بدأ سكان الإمارات يصيدون اللؤلؤ وينقلونه بحرًا إلى آسيا وأوروبا للتجارة. ومع ازدهار صيد اللؤلؤ، نشأت موانئ جديدة مثل جلفار. ليس بعيدًا عن النشاط البحري، امتلك الإماراتيون معرفة كبيرة بفنون الملاحة البحرية حتى أضحوا سادة التجارة البحرية.

ومع اكتشاف النفط في خمسينيات القرن الماضي، احتلت دولة الإمارات العربية المتحدة موقع الصدارة في نظام التجارة العالمية بعد أن أصبح النفط الشريان الحيوي للاقتصاد الحديث. ومع ازدهار النشاط التجاري، لم تشهد موانئ الإمارات وصول البضائع الجديدة والثروات فقط، بل استقبلت أيضًا الأفكار والثقافات الجديدة. وهكذا، أصبح المجتمع الإماراتي متنوع السكان ومنفتحًا على العالم. وقد تجلى أحد مظاهر ذلك الانفتاح في تأسيس دير وكنيسة مسيحية في جزيرة صير بني ياس حيث ازدهرت هناك وكان رعاياها محط ترحيب من السكان المحليين حتى بعد انتشار الإسلام على نطاق واسع في أرض الإمارات.

أخيرًا، لا يمكن أن نغفل أن الإيمان كان حجر الزاوية في كل النجاحات التي حققتها دولة الإمارات. وحتى قبل ظهور الدين الإسلامي، كان أسلافنا في حالة بحث لمعرفة موقعهم في هذا العالم. فمنذ (العصر الحجري الحديث)، طوّروا طقوسهم الدينية مثل طائفة الأفاعي التي وجدنا آثارها في معابد (العصر الحديدي). كما عبدوا إله الشمس "شمس" في المعبد الجميل في قرية الدور. وفي القرن السابع الميلادي، بزغ فجر الإسلام على الإمارات من قلب شبه الجزيرة العربية فعزز مجموعة القيم من بينها المساواة التي ظل المجتمع الإماراتي في تاريخه يتحلى بها؛ والأهم من ذلك، جاء الإسلام برسالة كونية تدعو إلى الإيمان بإله واحد، وهو اللّه، والخضوع له. وسرعان ما انتشر الدين الإسلامي الذي بشر به النبي محمد -صلّى اللّه عليه وسلم- في كل بقاع الإمارات حتى أصبح دين حياة وآخرة يضمن السلام والازدهار لأتباعه. ولا يزال الدين الإسلامي يشكل الأساس الذي يقوم عليه مجتمع الإمارات دون أن يمنع ذلك أتباع الديانات الأخرى من ممارسة عباداتهم على أرض الإمارات في مظهر يؤكد التسامح والانفتاح الذي لا يزال يميز دولة الإمارات.

هكذا، كانت هذه العوامل الأربعة: المجتمع، الإبداع، التجارة، الإيمان، تتفاعل عبر آلاف السنين من تاريخ الإمارات حتى تكللت في يومنا هذا بهذه النجاحات التي ترفل بها دولتنا في جميع مناحي الحياة. وستظل هذه العوامل الأساس لنا كأمة وشعب لتحقيق المزيد من النجاحات في المستقبل رغم أننا نعيش في عالم مضطرب لكنه يحفل بالكثير من الآمال الواعدة.

قراءات إضافية

لمعرفة المزيد عن المستحاثات الميوسينية (من العصر الثلثي الأوسط) من أبوظبي، انظر كتاب م. بيتش وبيتر. هيلير (المحرران) "أبوظبي قبل 8 ملايين سنة. مستحاثات من أواخر الحقبة الميوسينية من المنطقة الغربية" (2005).

وللاطلاع على لمحة عامة حول تاريخ دولة الإمارات، ارجع إلى كتاب د. ت. بوتس في أرض الإمارات: "آثار وتاريخ دولة الإمارات" (2012).

للاطلاع على أحدث تحليل للاكتشافات الأثرية من الحقبة الممتدة من (العصر الحجري الحديث) إلى (العصر الحديدي)، انظر إلى الفصول ذات الصلة في كتاب بيتر ماغي، "آثار شبه الجزيرة العربية في (العصر الحجري الحديث)" (2014).

ويمكن الاطلاع على المناقشات الأحدث حول آثار جزر أبوظبي في كتاب ج. ر. د. كينغ (المحرر) "الكبريت والإبل والبارود" (2003)، بينما يوجد ملخص للبحوث حول جزر أبوظبي في كتاب بيتر هيلير، "ملء الفراغات: الاكتشافات الأثرية الحديثة في أبوظبي" (1998).

وقد نُشرت آلاف المقالات في المجلات العلمية حول آثار وتاريخ دولة الإمارات؛ وأهم المجلات التي تحتوي على مثل هذه المقالات هي "الآثار والنقوش العربية"، ومجريات ندوة الدراسات العربية التي نشرتها (المؤسسة البريطانية لدراسة شبه الجزيرة العربية)

(http://www.thebfsa.org).

الكلمات المفتاحية

Arabic

ا

آشور 68
آل نهيان 06
أحافير 4
إزكي 68
الإبل 55، 56، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 65، 66، 68، 78
الأطوم 19، 38
الأكعاب 14، 18، 19، 21
البيئة 12
الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان 19، 77
الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان 19، 77
العصر البرونزي 23، 24، 31، 32، 35، 36، 40، 41، 42، 44، 58، 78
العصر الحجري الحديث 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 21، 22، 24، 26، 77، 78، 79، 81
العصر الحديدي 36، 44، 52، 55، 56، 57، 58، 66، 70، 72، 79، 81
الفلج 31، 51، 52، 53، 55، 58، 68، 69، 71
أم النار 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 42، 44، 45، 49، 50، 53، 60، 63، 78

ب

بابل 68، 70، 73، 75
بلاد ما بين النهرين 20، 21، 24، 25، 31، 32، 35، 36، 37، 41، 42، 44، 68، 69، 75، 78

ت

تضاريس 3، 7، 15
تل أبرق 32، 34، 38، 44، 60

ج

جبال الحجر 1، 2، 3، 8، 23، 31، 32، 35، 54
جبل الفاية 9، 10، 11، 12، 14
جبل بحيص 14، 16، 17، 20، 43، 47، 50، 77
جبل حفيت 24، 25
جرة 56
جلفار 78

ح

حقبة العبيد 20

د

دبا 76
دلما 14، 18، 20
دلمون 68، 69

ش

شبه الجزيرة العربية 06، 4، 10، 11، 12، 14، 15، 22، 26، 30، 58، 61، 65، 66، 68، 72، 74، 76، 79، 81

ص

صير بني ياس 19، 79

ع

علم الآثار 44، 57، 61، 62
عوافي 15، 21، 45

غ

غندوانا 2

ق

قادة 56، 69

م

مجان 31، 37، 39، 41، 78
مدافن 23، 24، 25، 31، 32، 35، 40، 42، 49، 58، 78
مدافن حفيت 23، 24، 25، 31، 32
مروح 06، 14، 17، 18، 19، 20
مستحاثات 4، 7، 10، 81
مليحة 72
مليسه 6، 60
مناخ 7، 14، 15، 29
مويلح 30، 35، 52، 54، 55، 56، 60، 62، 64، 65، 66، 70

ه

هيلي 24، 26، 27، 28، 31، 55، 57

و

وادي الحلو 44، 48
وادي سوق 36، 43، 44، 45، 47، 49، 50، 53

التعليم الهجين في المدرسة الإماراتية

في إطار البعد الإستراتيجي لخطط التطوير في وزارة التربية والتعليم، وسعيها لتنويع قنوات التعليم وتجاوز كل التحديات التي قد تحول دونه، وضمان استمراره في جميع الظروف، فقد طبقت الوزارة خطة التعليم الهجين للطلبة جميعهم في المراحل الدراسيّة كافة.

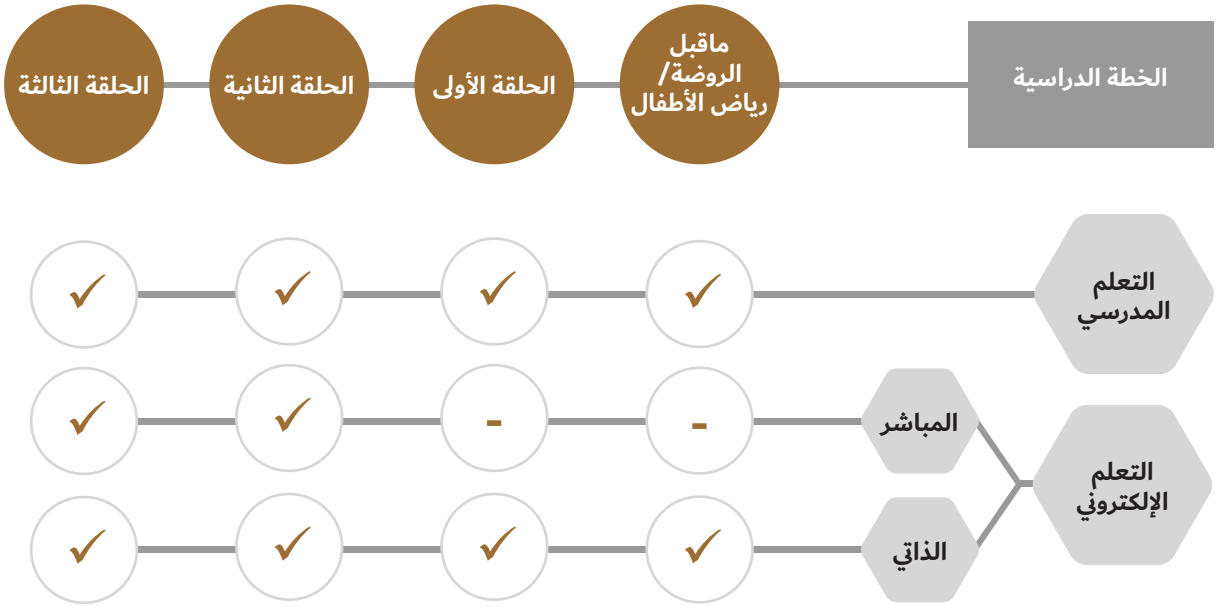

قنوات الحصول على الكتاب المدرسي:

برنامج محمد بن راشد للتعلم الذكي
Mohammed Bin Rashid Smart Learning Program

الوحدات الإلكترونيّة

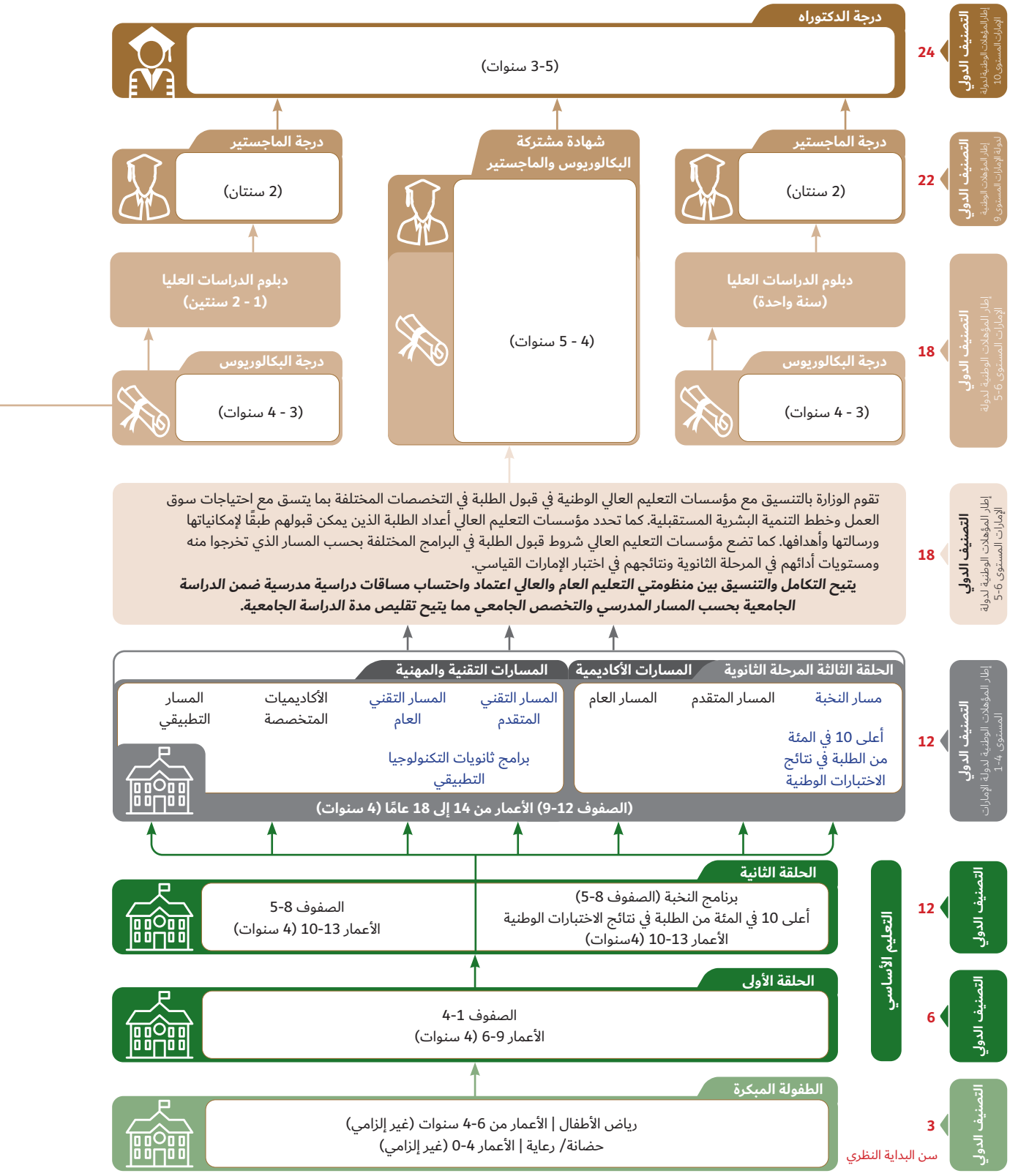
التصنيف الدولي
إطار المؤهلات الوطنية لدولة الإمارات المستوى 10
24
درجة الدكتوراه
(3-5 سنوات)
التصنيف الدولي
إطار المؤهلات الوطنية لدولة الإمارات المستوى 9
22
درجة الماجستير
(2 سنتان)
شهادة مشتركة البكالوريوس والماجستير
(4 - 5 سنوات)
درجة الماجستير
(2 سنتان)
التصنيف الدولي
إطار المؤهلات الوطنية لدولة الإمارات المستوى 6-5
18
دبلوم الدراسات العليا (1 - 2 سنتين)
دبلوم الدراسات العليا (سنة واحدة)
درجة البكالوريوس
(3 - 4 سنوات)
درجة البكالوريوس
(3 - 4 سنوات)
التصنيف الدولي
إطار المؤهلات الوطنية لدولة الإمارات المستوى 6-5
18
تقوم الوزارة بالتنسيق مع مؤسسات التعليم العالي الوطنية في قبول الطلبة في التخصصات المختلفة بما يتسق مع احتياجات سوق العمل وخطط التنمية البشرية المستقبلية. كما تحدد مؤسسات التعليم العالي أعداد الطلبة الذين يمكن قبولهم طبقًا لإمكانياتها ورسالتها وأهدافها. كما تضع مؤسسات التعليم العالي شروط قبول الطلبة في البرامج المختلفة بحسب المسار الذي تخرجوا منه ومستويات أدائهم في المرحلة الثانوية ونتائجهم في اختبار الإمارات القياسي.
يتيح التكامل والتنسيق بين منظومتي التعليم العام والعالي اعتماد واحتساب مساقات دراسية مدرسية ضمن الدراسة الجامعية بحسب المسار المدرسي والتخصص الجامعي مما يتيح تقليص مدة الدراسة الجامعية.
التصنيف الدولي
إطار المؤهلات الوطنية لدولة الإمارات المستوى 4-1
12
الحلقة الثالثة المرحلة الثانوية
المسارات الأكاديمية
مسار النخبة
المسار المتقدم
المسار العام
أعلى 10 في المئة من الطلبة في نتائج الاختبارات الوطنية
المسارات التقنية والمهنية
المسار التقني المتقدم
المسار التقني العام
الأكاديميات المتخصصة
المسار التطبيقي
برامج ثانويات التكنولوجيا التطبيقي
(الصفوف 12-9) الأعمار من 14 إلى 18 عامًا (4 سنوات)
التعليم الأساسي
التصنيف الدولي
12
الحلقة الثانية
برنامج النخبة (الصفوف 8-5)
أعلى 10 في المئة من الطلبة في نتائج الاختبارات الوطنية
الأعمار 13-10 (4سنوات)
الصفوف 8-5
الأعمار 13-10 (4 سنوات)
التصنيف الدولي
6
الحلقة الأولى
الصفوف 1-4
الأعمار 9-6 (4 سنوات)
التصنيف الدولي
3
الطفولة المبكرة
رياض الأطفال | الأعمار من 6-4 سنوات (غير إلزامي)
حضانة/ رعاية | الأعمار 4-0 (غير إلزامي)
سن البداية النظري

الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم

منظومة التعليم في دولة الإمارات العربية المتحدة

درجة الدكتوراه / العلوم التطبيقية
(3-5 سنوات)

درجة الماجستير / العلوم التطبيقية
(2 سنتان)

دبلوم الدراسات العليا/ العلوم التطبيقية
(1 - 2 سنتين)

درجة البكالوريوس / العلوم التطبيقية
(3 - 4 سنوات)

دبلوم / دبلوم عالي
(2 - 3 سنوات)

التعليم المستمر
- محو الأمية
- المسار التطبيقي
- المسار العام الأكاديمي
- التعليم المنزلي

المؤهلات المهنية
مركز التعليم والتطوير المِهْني

برنامج تجسيري

الالتحاق بالعمل